أَبُو خُبَيْبٍ صَلاَحُ بْنُ فَتْحِيِّ بْنِ صَالِحٍ
عَفَا اللهُ عَنْهُ

صفة مرض النبي ﷺ ووصاياه عند موته وفاته وقبره

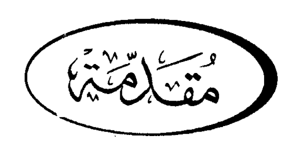
١ ـ الرسول من المرض حتى لقاء الله .

٢ ـ اللحظات الأخيرة في حياة النبي .

٣ ـ صفة وفاة الرسول .

دار الروضة
للنشر والتوزيع
القاهرة : ص ب ٢٢٢٧
يطلب من
مركز توزيع الكتاب الإسلامي
٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
ت ٥١٢٣٦١١

بسم الله الرحمن الرحيم



« الحمد لله ، الأول والآخر ، الظاهر والباطن ، القادر القاهر ، شكراً على تفضُّله وهدايته ، وفزعاً إلى توفيقه وكفايته ، ووسيلة إلى حفظه ورعايته ، ورغبة فى المزيد من كريم آلائه ، وجميل بلائه ، وحمداً على نِعَمه التى عظم خطرها عن الجزاء ، وجلّ عددها عن الإحصاء » [1] .

وصلِّ اللَّـهُـمَّ وسَـلِّم على محمـدٍ خاتم الأنبياء ، وارض اللهم عن آله وأصحابه الأتقياء ، وارحم اللهم مَن تبعهم من النُّجباء السُّعداء ، واحشرنا اللهم مع نبينا وهؤلاء ، واجعلنا من ورثة نعيمك ، وأجرنا من الشقاء ، وأنزل علينا رحمتك وارفع عنّا البلاء ، وارفع درجاتنا بين أهل الأرض والسماء ، دعوتُك ربِّ فَأجب هذا النداء .

وبعـد

فهذا مختصرٌ لطيف لكتابى : « **وفاة الرسول ﷺ** » ، اقتصرتُ لك فيه على ما تقـرُّ به عينك من أخبار نبيك ﷺ ، مجتنباً لما في الأصل ـ « **وفاة الرسول ﷺ** » ـ من إطالة فى بعض المواضع ، وذكرت لك فيه مختصر ما يخصُّ وفاته نبيك ﷺ مما ذُكِرَ فى أصله ، تاركاً أبواب الخلافة والميراث التى انتظمها الأصل ، « وشَرِيطتنا على قَارِئ كتابنا الإقصار عن طلب خطئنا ، والصفح عن ما يقف عليه من إغفالنا ، والتجاوز عن ما ينتهى إليه من إهمالنا ،

(١) من مقدمة ابن عبد البر رحمه الله لكتابه : « التمهيد » .

وإن أدّاه التصفح إلى صوابٍ ؛ نَشَرَهُ ، أو إلى خطأ ؛ سَتَرَهُ ، لأنه قد تقدّمنا بالإقرار ، ولا بد للإنسان من زللٍ وعثار ، وليس كل الأدب عرفناه ، ولا كل عِلْمٍ دريناه ، وعلينا في ذلك الاجتهاد ، وإلى الله الإرشاد ، وقلَّ ما نجا مؤلِّف لكتابٍ من راصدٍ بمكيدةٍ ، أو باحثٍ عن خطيئة » [1] .

وما أجمل قول الإمام الخطّابي رحمه الله [2] : « وكُلُّ مَن عَثَرَ منه على حَرْفٍ أو معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله في إصلاحه ، وأداء حق النصيحة فيه ، فإنَّ الإنسان ضعيفٌ لا يَسْلَمُ من الخطأ إلاَّ أن يعصمه الله بتوفيقه » .

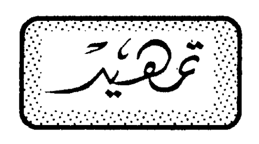
والحمد لله ربّ العالمين .

وكتب /

صلاح بن فتحي أبو خبيب

٦ / ١٠ / ١٤١٧هـ

(١) من كلام أبي الطيب الوشاء في كتابه « الموشى » نقلاً عن « المروءة » لمشهور حسن (ص/٦) .
(٢) في مقدمة كتابه : « غريب الحديث » .



خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى مدينته المباركة ، وظلَّ مقيماً فى مدينته عشرة أعوام ، إلى أن توفَّاه ربّه عز وجل ، وقد ذُكرت الآثار بذلك عن ابن عباس وأنس بن مالك وغيرهما فى صدر كتابى : « بَدْء الوحى » .

ولمَّا كان الموت حتماً لا بد منه على كلِّ البشر بما فيهم الأنبياء ، كان لا بد أن يأتى الأجل النبوى ليرحلِ رسولنا ﷺ عن دنيانا إلى آخرة الخلد والرضوان والنعيم المقيم ، فى جنة ربِّ العالمين .

وكان أهل الكتاب يعلمون يوم الوفاة النبوية بما ورد فى كتبهم [1] ، وفى هذا تصديق لنبى الإسلام ، وأمارة من أمارات صدق نبوته ، وهيمنة رسالته على ما قبلها من رسالات ، لكن اليهود والنصارى لا يُسلِّمون بذلك حسداً منهم للمسلمين ، وتمرُّداً على الحق ، وليس العجب من كفرهم ، فهم أهل تمرُّدٍ وعنادٍ وكفر وجحود ، وإنما العجب فى تخاذل أهل الإسلام وتفريطهم فى إسلامهم !!

وقد كانت وفاة الرسول الكريم ﷺ قبل أُمَّته رحمةً لهذه الأمة ، فإنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله عز وجل إذا أراد رحمة أمةٍ من عباده ، قَبَضَ نبيَّها قبلها . فَجَعَلَهُ لها فَرَطاً [2] وسلفاً بين يديها . وإذا أراد هَلَكَةَ أمةٍ ، عذَّبها ونبيُّها حيٌّ ، فأهْلكها وهو ينظرُ ، فأقرَّ عينَهُ بهَلَكَتها حين كذَّبوه وعصوا أمرَهُ » [3] .

---

(١) راجع : حديث جرير عند البخارى (٤٣٥٩) ، وانظر : دلائل النبوة للبيهقى (٧/٢٧٠) .
(٢) الفارط : السابق المتقدِّم .
(٣) رواه مسلم (٢٢٨٨) ، وراجع : الأصل .

وقد كانت حياته ﷺ أماناً لأمته من الفتن فلمّا مات فُتحت أبواب الفتن على هذه الأمة ، وقد ورد ذلك من قوله ﷺ حيث قال : « وأنا أَمَنَةٌ لأصحابى. فإذا ذهبتُ أتى أصحابى ما يوعدُون . وأصحابى أمنةٌ لأمتى . فإذا ذهبَ أصحابى أتى أمتى ما يُوعدُون » [١] .

والأَمَنَةُ ـ بفتح الهمزة والميم ـ والأمان بمعنى ، والمراد أن النبى ﷺ أمان لأمته ، يحول بينها وبين ما يحدث لها من الفتن ، وحقّا فُتحَتْ أبواب الفتن على الأمة بموته ﷺ ، وليس يخفى عليك أمر المرتدين ، كما لا يخفى عليك مقتل عمر وعثمان وغير ذلك من الأحداث الجسام التى مَرَّت بها الأمة زمن الصحابة ، ناهيك عمّا حدث لها بعد ذلك ، والأمر يطول شرحه ، وحَسْبُك أن تقرأ التاريخ ، وفى الإشارة ما يغنى عن طول العبارة .. والله المستعان!!

آخر خطبة خطبها رسول الله ﷺ

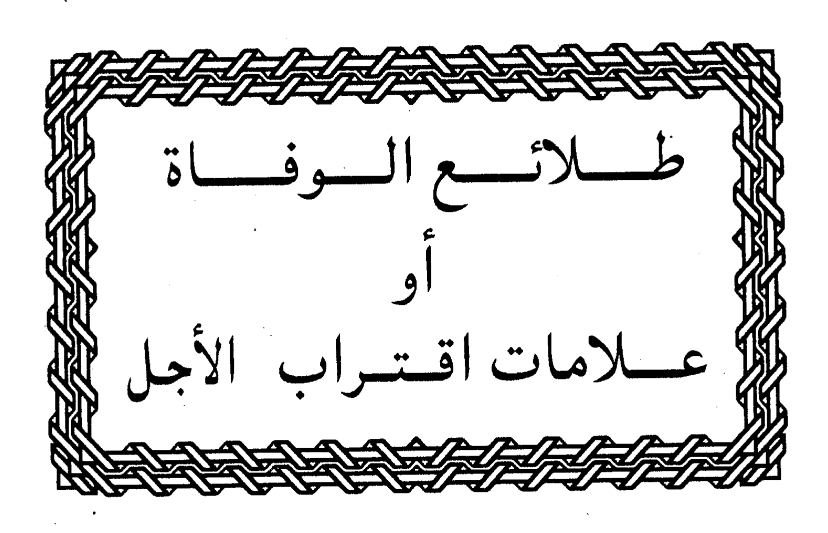
لما اقتربت الوفاة ، وحبس المرض رسول الله ﷺ عن الناس ومنعه من الجلوس إليهم ومخالطتهم ، جلس الأنصار فى مجلس لهم فذكروا مجلس رسول الله ﷺ منهم ، فغلبهم البكاء ، فَذُكرَ ذلك لرسول الله ﷺ ، فخرج عاصباً رأسَهُ فجلس مجلسه الأخير على منبره الشريف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أوصى بالأنصار رضى الله عنهم [٢] .

آخر سورة قرأ بها رسول الله ﷺ فى صلاته

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن أمِّ الفضل بنت الحارث ـ وهى أمُّ ابن عباس رضى الله عنهم ـ قالت : سمعت النبىّ ﷺ يَقْرأُ فى المغرب بالمرسلات عُرْفًا ، ثم ما صلّى لنا بعدَها حتى قبَضَهُ الله » [٣] .

---

(١) رواه مسلم (٢٥٣١) ، وراجع في شرحه : صحيح ابن حبان (٢٣٥/١٦) (٧٢٤٩ / ط : الرسالة) و «شرح مسلم» للنووى رحمه الله ، وراجع : الأصل .
(٢) راجع : الأصل .
(٣) رواه البخارى (٧٦٣) ، (٤٤٢٩) ، وراجع : فتح البارى (٢٨٨/٢) .


طلائع الوفاة
أو
علامات اقتراب الأجل

إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ بأجله

أشار الله عز وجل إلى اقتراب الأجل النبوى حين أنزل قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ . فكان هذا نعياً لنفس رسول الله ﷺ نُعِيَتْ إليه نفسه ، وعلامةً لأجله ﷺ كما قال ابن عباس وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنهما (١) .

تتابع الوحى عليه ﷺ فى آخر عمره

عن ابن شهاب الزهرى رحمه الله قال : « أخبرنى أنس بن مالك رضى الله عنه : أن الله عز وجل تابَعَ الوحيَ على رسول الله ﷺ قَبْلَ وفاته ، حتى تُوفِّي ، وأكثرُ ما كان الوحى يوم تُوفِّي رسول الله ﷺ » (٢) .

والسِّر فى أن الله عز وجل تابَعَ الوحى على رسول الله ﷺ ، أى : أكْثَرَ من إنزاله فى آخر حياته : أن الوفود بعد فتح مكة كثروا ومع كثرتهم كثرت أسئلتهم واستفساراتهم مع تقبلهم لتلقِّى الأحكام والتكاليف الشرعية ، ليتم الله النعمة ويكمل الدين لهذه الأمة ، بعدها يحين رحيل النبى ﷺ عن دنيا العبيد إلى جنة ربِّ العبيد فطاب الرحيل والمرحول إليه . حشرنا الله مع نبينا ﷺ إنه وليُّ ذلك والقادر عليه .

---

(١) رواه البخارى فى مواضع بألفاظ مختلفة : (٣٦٢٧) (٤٢٩٤) (٤٤٣٠) (٤٩٦٩) (٤٩٧٠) .
(٢) رواه البخارى (٤٩٨٢) ، ومسلم (٣٠١٦) ، وغيرهما ، والسياق لمسلم رحمه الله .

فراسة العبَّاس رضى الله عنه

خرج علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفِّى فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً ، فأخذ العباس بن عبد المطلب بيد علىٍّ ؟ فقال له: أنتَ والله بعد ثلاث عبدُ العصا [1] ، وإنِّى والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يُتَوفَّى من وَجَعه هذا ، إنى لأعرفُ وجوه بنى عبد المطلب عند الموت ! [2] .

وهذا من فراسة العباس ، وحسن ملاحظته ، وهذا يعرف بالتجربة ودقة الملاحظة والفطنة .

جبريل يعرض القرآن على رسول الله ﷺ مرَّتين فى عام الوفاة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «كان يُعْرَضُ على النبى ﷺ القرآن كُلَّ عامٍ مرة ، فعُرِضَ عليه مرتين فى العام الذى قُبِضَ فيه » [3] .

وقد ذكر ﷺ لابنته فاطمة رضى الله عنها : « أن جبريل كان يُعارضه بالقرآن كل سنة مرة ، قال : وإنه قد عارضنى به العام مرتين ، ولا أرى الأجل إلاَّ قد اقترب » [4] .

(والمعارضة : مفاعلة من الجانبين كأنَّ كلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع) . قاله ابن حجر فى «الفتح» (٦٦٠/٨) .

---

(١) قال ابن حجر : « هو كناية عمَّن يصير تابعاً لغيره ، والمعنى : أنه يموت بعد ثلاث وتصير أنت مأموراً عليك ، وهذا من قوة فراسة العباس رضى الله عنه » .

(٢) رواه البخارى (٤٤٤٧) .

(٣) رواه البخارى (٤٩٩٨) .

(٤) راجع : الأصل / نعى النبى ﷺ نَفْسَه لفاطمة ابنته رضى الله عنها .

اعتكافه ﷺ عشرين يوماً فى العام الذى مات فيه

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « كان النبيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فى كُلِّ رمضان عشرةَ أيامٍ فلمّا كان العام الذى قُبِضَ فيه اعتكفَ عشرينَ يوماً » [١].

وقد ختم الله عز وجل حياة نبيه بالاجتهاد فى الطاعات فاعتكف ﷺ عشرين يوماً ، وعارضه جبريل بالقرآن مرتين ، وذهب حاجّاً ليعود مسبّحاً مستغفراً ، لتنتهى الحياة بهذه الأعمال المباركة وغيرها من أعمال البر والخير والطاعة إعلاءً لشأنه ﷺ ، وتعليماً لأمته ﷺ ، وشحذاً لهممهم نحو الازدياد فى الطاعات خاصة عند اقتراب الرحيل ونهاية العُمر [٢].

حَجَّةُ الوَدَاع

كان اقتراب الرحيل وانتهاء الأجل قد لاح على صفحات كلام المصطفى ﷺ فى حجته المشهورة ، ومن ذلك :

* أنه ﷺ قال لأصحابه : **« لِتَأْخُذُوا مناسِكَكُم ، فإنى لا أدرى لعلّى لا أَحُجُّ بعدَ حجّتى هذه »** [٣].

* وقال لهم أيضاً : **« إنْ أُمِّرَ عليكم عَبْدٌ مُجَدَّعٌ** [٤] **يقودكم بكتاب الله تعالى ، فاسمعوا له وأطيعوا »** [٥] .

* وخطبهم ﷺ فذكر الدجال فأطنب فى ذكره ، وقال : **« ما بعثَ الله من نبىٍّ إلاَّ أنذرَ أمَّتَهُ ، أنذرَهُ نوحٌ والنَّبيون من بعدهِ »** .

---

(١) رواه البخارى (٢٠٤٤) .
(٢) راجع : فتح البارى (٣٣٤/٤) (٦٦٣/٨) .
(٣) رواه مسلم (١٢٩٧) .
(٤) يعنى : مقطّع الأطراف .
(٥) رواه مسلم (١٢٩٨) (١٨٣٨) .

* وقـال فى خطبـتـه ﷺ : « إنَّ دمـاءكم وأموالكم وأعـراضكم بينكم حـرام كحُرمَةِ يومكُـمْ هذا ، فـى شَهْرِكُم هذا ، فى بَـلَدِكُم هذا . ألا لَـيُـبَلِّغ الشاهدُ منكم الغائبَ » .

وقال : « ألا هل بلَّـغت؟ » قالوا : نعم . قال : « اللَّـهُمَّ اشهد » ثلاثاً .

* وجاءه الوحي بقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ .

وقد ذكرتُ ذلك كله فى كتاب : « حجَّة الوداع »

لطيفة : ذكر ابن حبان رحمه الله حديث جابرٍ فى صفة حجَّة النبى ﷺ وفيـه : أنَّ النبى ﷺ نـحَـرَ مائة بدنةٍ نَـحَـرَ منها بيده ﷺ ثلاثاً وستِّين ونَـحَـرَ عليٌّ تمام المائة .

قال ابن حبان رحمه الله : « العـلَّةُ فى نَـحْرِ المصطفى ﷺ ثلاثاً وستِّين بدنةً بيده دون ما وراء هذا العدد أنَّ له فى ذلك اليوم كانت ثلاثاً وستين سنة ، ونحرَ لكُـلِّ سنةٍ من سنيِّـه بدنةً بـيده ، وأمرَ علـيّـاً بالباقى فنحرها » [(١)].

لعـلِّـى أعْـهَـدُ إلـى النـاس

اشتدَّ برسول الله ﷺ وجعه ، فاستأذَن أزواجه أن يُمرَّض فى بيت عائشة رضى الله عنهـا الحبيبة إلى قلبه ، وابنة أحب الرجال إلى قلبه ، فأَذنَّ له فى ذلك ، فخرج إلى بيت عائشة معتمداً على رجلين ، تخطُّ قدماه الشريفتان فى الأرض، لا يستطيع أن يرفعهـما عن الأرض ، فدخل على عائشة بحالته هذه . وبمرور الوقت يشتد الوجع ، لكن القلب النبوى الشريف مشغول بالأمة خائف عليها ، مشفق ، فأمرهم ﷺ بأن يَـصبُّوا عليه من سَـبْعِ قِرَبٍ لم تُـحْلَـلْ أوكيتـهُنَّ

---

(١) صحيح ابن حبان (٩ / ٢٥٢ ـ ط : الرسالة) عقب (رقم / ٣٩٤٣) ، وحديث جابر المشار إليه : رواه مسلم .

قــال : « **لعـلّي أعْـهَـدُ إلى الـناس** » بعـدها خـرج إلى الناس فـصلّى بهـم وخطبهـم، فكانت هذه اللفظة منه ﷺ إشارة إلى قُـرْب الرحيل عن دنيا المتاعب إلى جنة الخلد وطيب العيش حشرنا الله معه بمَـنّه وكرمه ...... آمين .

وداعـاً قَـتْـلَـى أُحُـد

عن عـقـبـة بن عامرٍ رضى الله عنه قال : صلى رسـول الله ﷺ على قَـتْلَى أُحُـد بعدَ ثماني سنين كالمودّع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : « إنّي بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدَكم الحوض ، وإني لأنظرُ إليه من مقامي هذا . وإنّي لستُ أخشى عليكم أن تُـشْرِكـوا بعدي ، ولكنّي أخشَى عليكم الدنيا أن تنافسـوها . قـال عقبة : فكانت آخر نظرةٍ نظرتُها إلى رسول الله ﷺ » [1] .

الاستغـفـار لأهـل البقـيـع

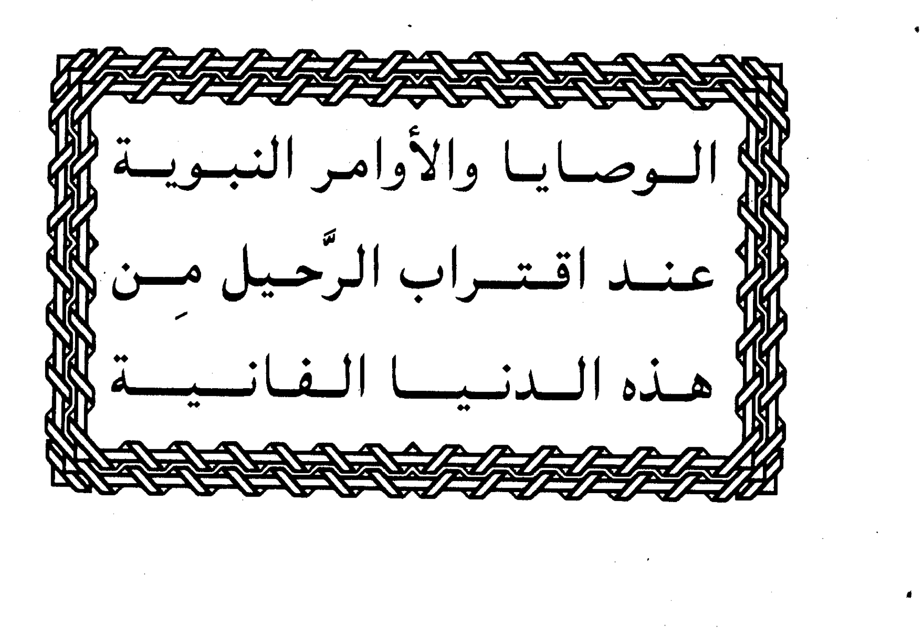
جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فـقـال : « **إنَّ ربَّك يأمُـرُكَ أن تأتي أهل البقيع فَتَسْتَغْـفِر لهم** » رواه مسلم (٩٧٤) ، وغيره مطولاً .

والبقيع : مدفن أهل المدينة .

وقد ذكرتُ هذا الحديث هنا تبعاً لابن سعد رحمه الله في : « **الطبقات** » (١٥٦/٢) ، ويُسْـتَشْـهَد لذكْره في طلائع الوفاة أو علامات اقتـراب الأجل بما سـبق قـبله من صـلاة النبي ﷺ على قَـتْلَى أُحُـدٍ كـالمودّع للأحـيـاء والأموات . والله أعلم .

---

(١) رواه البخاري (٤٠٤٢ / وفي غير موضع) ، ومسلم (٢٢٩٦) . وراجع في شرحه : الأصل .


الوصايا والأوامر النبوية
عند اقتراب الرَّحيل مِن
هذه الدنيا الفانية

الأمر بِحُسْنِ الظَّنّ بالله تعالى عند الموت (١)

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعتُ النبى ﷺ قَبْلَ وفاته بثلاثٍ يقول : « **لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُم إلاَّ وهو يُحْسِنُ بالله الظَّنَّ** » (٢) .

الأمر بتعظيم الرّبّ فى الركوع والاجتهاد فى الدعاء أثناء السجود

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كشَفَ رسول الله ﷺ السِّتَارة والناسُ صفوفٌ خَلْفَ أبى بكرٍ فقال : « أيُّها الناس؛ إنَّه لم يَبْقَ من مبشِّرات النُّبُوَّة إلا الرُّؤيا الصالحة يراها المسلمُ ، أو تُرَى له . ألاَ وإنِّى نهيت أن أَقْرأَ القرآن راكعاً أو ساجداً .

فأمَّا الركوع فعظِّمُوا فيه الرب عز وجل . وأمَّا السجود فاجتهدُوا فى الدُّعاء. فَقَمِنٌ أن يُسْتَجَابَ لكُم » (٣) . أى : فحقيقٌ أو جديرٌ أن يُسْتَجَابَ لكم ، وقَمَن : بفتح الميم وكسرها ، كما حكى النووى فى : « شرح مسلم » (٤) وقال : « وفيه الحث على الدعاء فى السجود » .

---

(١) الترجمة من صحيح مسلم رحمه الله . وتراجم مسلم بعضها منه وبعضها ممّن بعده ، وليست للنووى كما هو مشهور . والله أعلم .

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٧) . وراجع شرحه فى : الأصل .

(٣) رواه مسلم (٤٧٩) .

(٤) وراجع : « غريب الحديث » لأبى عبيد رحمه الله (١٩٧/٢) .

الوصية بكتاب الله تعالى

عن طلحة بن مُصرِّف رحمه الله قال : سألتُ عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما : هل كان النبى ﷺ أوصى؟ فقال : لا [1] . فقلتُ : كيف كُتب على الناسِ الوصيَّةُ ، أو أُمِرُوا بالوصيَّةِ ؟ قال : أوصى بكتاب الله » [2] .

الوصية بسنة المصطفى ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، وغير ذلك

عن العِرْباض بن سارية رضى الله عنه قال : صلَّى لنا رسول الله ﷺ الفَجْرَ ثم أَقْبَلَ علينا فَوَعَظَنا موعظةً بليغةً ذَرَفتْ لها الأَعْيُن ووَجِلَتْ منها القُلُوب . قلنا : يا رسول الله ! كأنَّ هذه موعظة مُودِّع فأَوْصِنا . قال : « **أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فإنَّهُ من يَعِشْ منكم يرى بعدى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الرَّاشدين المهديين . وعضُّوا عليها بالنَّواجذ وإيَّاكُم ومحدثات الأمور . فإنَّ كُلَّ محدثةٍ بدعةٌ ، وإنَّ كُلَّ بدعةٍ ضلالة** » [3] .

الوصية بالأنصار رضى الله عنهم

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مرَّ أبو بكر والعباسِ رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكُون ، فقال : ما يُبْكيكُم؟ قالوا : ذكرنا مجلسَ النبىِّ ﷺ منَّا . فدخَلَ على النبى ﷺ فأخبرَهُ بذلك ، قال : فخرج

---

(1) الوصية المنفية هنا هى الوصية بالخلافة راجع : فتح البارى (٥/٤٢٥ ، ٤٢٦) ، وكذلك : أبواب الخلافة من الأصل .

(2) رواه البخارى (٢٧٤٠) ، ومسلم (١٦٣٤) .

(3) حديث صحيح : رواه أحمد (٤ / ١٢٦ ، ١٢٧) ، وغيره .

النبيُّ ﷺ وقد عَصَبَ على رأسه حاشيةَ بُرْدٍ ، قال : فَصَعَدَ المنبرَ ، ولم يَصْعَدْهُ بعدَ ذلك اليوم ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال : « **أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشِي وعَيْبَتِي** (١) ، **وقد قضوا الذى عليهم وبَقِيَ الذى لهم ، فَاقْبَلُوا من مُحْسِنِهم ، وتَجَاوَزُوا عن مُسِيئِهم** » (٢) .

إجازةُ الوَفْد وإخراج المشركين من جزيرة العرب

عن سعيد بن جُبَيْر رحمه الله سَمِعَ ابن عباسٍ رضِيَ الله عنهما يقول : يومُ الخميس وما يوم الخميس . ثم بكى حتى بلَّ دمْعُهُ الحصى . قُلْتُ : يا ابن عباسٍ ما يومُ الخميس؟ قال : اشتدَّ برسول الله ﷺ وَجَعُهُ فقال : « ائتونى بكتفٍ أكْتُبْ لكم كتاباً لا تضلُّوا بعده أبداً » . فتنَازَعُوا . ولا ينبغى عند نبيٍّ تنازعٌ . فقالوا : مَالَهُ؟ أهَجَرَ؟ استفهِمُوهُ . فقال : « ذرونى ، فالذى أنا فيه خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونى إليه » . فَأَمَرَهُم بثلاث قال : « **أخرجُوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوَفْدَ بنحو ما كُنْتُ أُجِيزُهُم** » ، والثالثة إما أن سكَتَ عنها ، وإمَّا أن قالها فنسيتُها » (٣) قال سفيان : هذا من قولِ سُلَيْمان (٤) .

---

(١) أى : جماعتى وخاصتى الذين أثقُ بهم وأعتمدهم فى أمورى . قال الخطابى : ضربَ مثلاً بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذى يكون به بقاؤه . والعيبة : وعاء معروف أكبر من المخلاة يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ويصونها . ضرب مثلاً بها لأنهم أهل سرّه وخفىّ أحواله . انتهى . مستفاد من « شرح مسلم » .

(٢) رواه البخارى (٣٧٩٩) ، ومسلم (٢٥١٠) . وله شاهد عن ابن عباس عند البخارى (٣٨٠٠ / وغير موضع) وهو مذكور فى : الأصل .

(٣) رواه البخارى (٣٠٥٣) (٣١٦٨) (٤٤٣١) ، ومسلم (١٦٣٧/٢٠) ، وغيرهما ، من طريق سفيان ابن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير بإسناده به .

(٤) يعنى : أن الساكت هو ابن جبير ، والناسى هو : سليمان الأحول .

وأجيزوا الوفد يعنى : أعطوهم ، والإجازة العطية . وفيه أمرٌ بإجازة الوَفْد وإكرامهم وحسنِ ضيافتهم تَرْغيباً لهم ولغيرهم فى الإسلام .

أَمْرُهُ ﷺ بِسَدِّ الأبواب التى فى المسجد إلاَّ باب أبى بكرٍ رضى الله عنه

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : خَطَبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ وقال : « إنَّ الله خَيَّرَ عَبْداً بَيْن الدنيا وبين ما عنده ، فاختارَ ذلك العبدُ ما عند الله » . قال : فبكى أبو بكرٍ ، فَعَجِبْنَا لبُكائه أَنْ يُخْبِرَ رسول الله ﷺ عن عَبْدٍ خُيِّرَ ، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّرُ وكان أبو بكرٍ أَعْلَمَنَا . فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ أَمَنَّ الناسِ علىَّ فى صُحْبَتِه ومالِه أبو بكرٍ ، ولو كنتُ مُتَّخِذاً خليلاً غيرَ ربِّى لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ ، ولكن أُخوَّةُ الإسلام ومَودَّتُهُ لا يَبْقَيَنَّ فى المسجدِ بابٌ إلاَّ سُدَّ إلاَّ بابَ أبى بكرٍ » [1] .

تَرْغيب النبىّ ﷺ لأصحابه فى الجلوس إليه قبل أن يُحْرَمُوا ذلك

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسُول الله ﷺ أنه قال : « والذى نَفْسُ محمدٍ بيده ! ليأتينَّ على أحدِكُم يومٌ ولاَ يَرَانى . ثُمَّ لأَنْ يَرَانى أحبُّ إليه من أهلِه ومالِه مَعَهُم » [2] .

---

(١) رواه البخارى (٤٦٦) (٣٦٥٤) ، ومسلم (٢٣٨٢) ، وغيرهما . وله شاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عند البخارى (٤٦٧) ، وغيره .

(٢) رواه مسلم (٢٣٦٤) ، وغيره من حديث همام بن منبّه ـ وهو فى صحيفة همام (٢٩) ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه . وهو عند البخارى (٣٥٨٩) من رواية الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه نحوه .

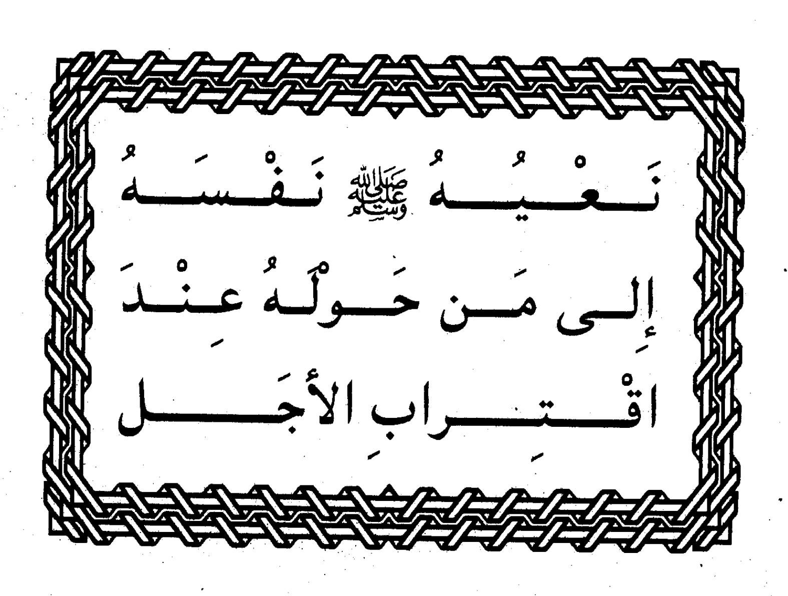
قال أبو إسحاق : المعنى فيه عندى : لأن يرانى معهم أحبُّ إليه من أهله وماله . وهو عندى مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ » [1] ا. هـ

وقال القاضى عياض : « تقديره لأَنْ يرانى معهم أحبّ إليه من أهله وماله ثم لا يرانى » . قال عياض : أى رُؤيته إياى أفضل عنده وأَحْظَى مِن أَهْلِهِ ومالِهِ » [1] .

« ومقصود الحديث حثهم على ملازمة مجلسه الكريم ومشاهدته ، حضراً وسفراً ، للتأدُّب بآدابه وتعلُّم الشرائع وحفظها ليبلِّغوها . وإعلامهم أنهم سيندمون على ما فَرَّطوا فيه من الزِّيادة من مشاهدته وملازمته » [1].

---

(١) وراجع : شَرْحَى مسلم والبخارى للنووى وابن حجر ، وأيضاً : الأصل .


نَعْيُهُ ﷺ نَفْسَهُ
إِلى مَنْ حَوْلَهُ عِنْدَ
اقْتِرابِ الأَجَل

نعيه ﷺ نَفْسَهُ لفاطمة ابنته رضى الله عنها

عن عائشة رضى الله عنها قالت : دعا النبىُّ ﷺ فاطمة رضى الله عنها فى شكْواه الذى قُبضَ فيه ، فَسارَّها بشىء فَبَكَتْ ، ثم دعاها فَسارَّها بشىء فَضَحِكَتْ ، فَسَأَلْنَا عن ذلك فقالت : سارَّنى النبىُّ ﷺ أنه يُقْبَضُ فى وَجَعه الذى تُوفِّى فيه فبكَيْتُ ، ثم سارَّنى فَأخبرنى أنّى أوَّلُ أهله يَتْبَعه فضحكْتُ » [١] .

نعيه ﷺ نَفْسَهُ إلى عَائِشَةَ رضى الله عنها

قالت عائشة رضى الله عنها : وا رأْساه! فقال لها رسول الله ﷺ : « **بل أنا وا رَأْسَاهُ ، لقد هَمَمْتُ أن أُرْسِلَ إلى أبى بكرٍ وابنه ، فأعهد أن يقولَ القائلون ، أو يتمنَّى المتمنُّون . فقُلْتُ : يأبى الله ويَدْفَعُ المؤمنون ، أو يَدْفَعُ الله ويأبى المؤمنون** » [٢] .

وفى جمعه ﷺ بَيْن شَكْوَاهُ للمرض وبَيْن هَمِّه بالعهد لأبى بكرٍ رضى الله عنه فى سياقٍ واحد إشارة إلى اقتراب أجله ﷺ ، فكان هذا نَعْياً منه لعائشة رضى الله عنها ، يَنْعَى إليها نفسه ﷺ ، وإلى هذا أشار البيهقى رحمه الله بقوله :

---

(١) لفظ البخارى (٤٤٣٣ ، ٤٤٣٤) من رواية عروة عن عائشة به ، والحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، راجع فى تخريجه : فضائل فاطمة لابن شاهين رحمه الله (رقم / ٤ ـ فما بعد) تحقيق شيخنا أبى إسحاق الحوينى حفظه الله ، وراجع : كلام ابن حجر على روايات الحديث فى : «الفتح» (٧ / ٧٤٢) .

(٢) رواه البخارى (٥٦٦٦) .

« باب : ما جاء فى إشارته (ﷺ) إلى عائشة رضى الله عنها فى ابتداءِ مرضه بما يُشبهُ النَّـعْى » [1] ا. هـ .

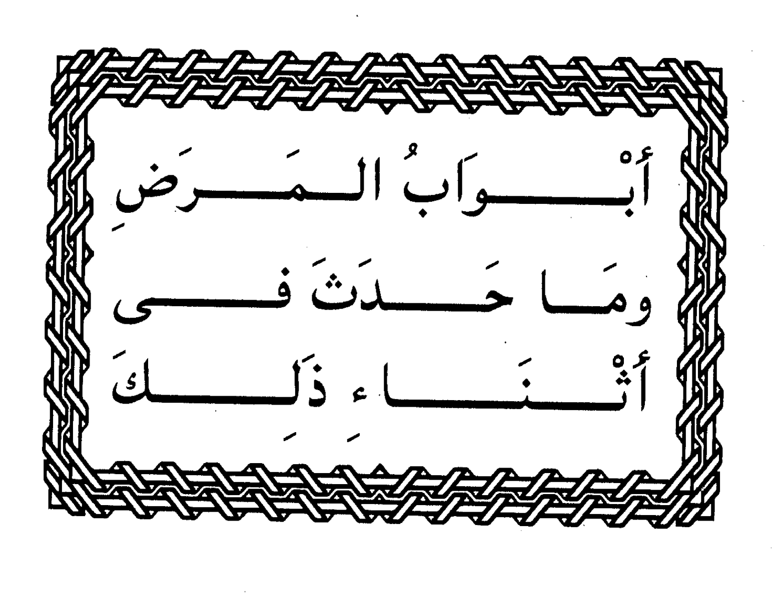
نَعْـىُ النـبى ﷺ نفسَهُ إلى أصحابه عامة

عن عُقبة بن عامرٍ رضى الله عنه قال : صلَّى رسول الله ﷺ على قَـتْـلَى أُحُـدٍ بـعْـدَ ثمانى سنين كالمودِّع للأحياء والأموات ، ثم طَـلَـعَ المنبر فقال : « إنِّى بَيْن أيديكم فَـرَطٌ [2] ، وأنا عليكم شهيـد ، وإنَّ موعدكم الحوض ، وإنِّى لأنـظُر إليه من مقامـى هذا . وإنِّى لَـسْـتُ أخْشَى عليكم أن تُشْرِكُوا ، ولكنِّى أخشَى عليكم الدنيـا أن تنافَـسُوها » . قال عُـقْبة : فكانت آخر نظرةٍ نَـظَـرْتها إلى رسولِ الله ﷺ [3] .

وراجع : حديث أبى سعيد الخدرى السابق فى : « أمره ﷺ فى مرض موته بسدِّ الأبواب التى فى المسـجـد إلاَّ باب أبى بكرٍ رضى الله عنه » ، وكـذلك حديث أبى هريرة رضى الله عنه السابق فى « ترغيب النبى ﷺ لأصحابه فى الجلوس إليه قبل أنْ يـحْرَموا ذلك » .

---

(1) دلائل النبوة للبيهقى (٧ / ١٦٨) .
(2) يعنى : سابق .
(3) رواه البخارى (٤٠٤٢ / وغير موضع) ، ومسلم (٢٢٩٦) ، وغيرهما .


أبْوَابُ المَرَضِ
ومَا حَدَثَ فى
أثْنَاءِ ذَلِكَ

ذِكْرُ ما قالته فاطمة رضى الله عنها فى مرض رسُولِ الله ﷺ

عن أنس بن مالكٍ رضى الله عنه قال : لما ثَقُلَ النبى ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ ، فقالت فاطمة رضى الله عنها : وا كربَ أباهُ ، فقال لها (رسول الله ﷺ) : « **ليس على أبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليوم** » [1] .

بَدْءُ المرض

عن القاسم بن محمدٍ رحمه الله قال : قالت عائشة رضى الله عنها : وا رأساه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « ذَاك لو كان وأَنَا حَيٌّ فأَستَغْفِرَ لك وأدعو لك » فقالت عائشة : وا ثُكْلَيَاه ، والله إِنِّى لأَظُنُّكَ تُحِبُّ موتى ، ولو كان ذلك لَظَلَلْتَ آخرَ يومك مُعَرِّساً ببعضِ أزواجك .

فقال النبيُّ ﷺ : « **بل أنا وا رَأسَاهُ ، لقد هَمَمْتُ - أو أردتُ - أن أُرْسِلَ إلى أبى بكرٍ وابنه ، فأَعْهَدَ ، أن يقولَ القائلون ، أو يتمنَّى المتمنُّون . ثُمَّ قُلْتُ : يأبى الله ويَدْفَعُ المؤمنون ، أو يَدْفَعُ الله ويأبى المؤمنون** » [2] .

وفى جمعه ﷺ بَيْن شَكْوَاهُ للمرض وبَيْن هَمِّه بالعهد لأبى بكرٍ رضى الله عنه فى سياقٍ واحد إشارة إلى اقترابَ أجله ﷺ ، فكان هذا نَعْيَاً منه ﷺ لعائشة ينعى إليها نفسه الشريفة ، وإلى هذا أشار البيهقى رحمه الله بقوله :

« باب : ما جاء فى إشارته (ﷺ) إلى عائشة رضى الله عنها فى ابتداءِ مرضه بما يُشبهُ النَّعْى » [3] ا. هـ .

---

(١) سيأتى إن شاء الله تعالى فى : « ذِكْر ما قالته فاطمة رضى الله عنها بَعْدَ دفن النبى ﷺ » .
(٢) رواه البخارى (٥٦٦٦) .
(٣) دلائل النبوة للبيهقى رحمه الله (٧ / ١٦٨) .

وقد اشتدَّ الألم برسول الله ﷺ أوَّل الأمر في بيت ميمونة ، ثم استأذن أزواجَهُ أنْ يُمَرَّضَ في بيت عائشَة فأذنَّ له ، فانتقل إلى بيت عائشة معتمداً على رجُلَيْن هما الفضل بن العباس وعلى بن أبي طالب [1] .

وقد اختُلِفَ في ابتداء مرضه ﷺ فقيل : السبت ، وقيل : الاثنين ، وقيل غير ذلك ، واختُلِفَ أيضاً في تحديد اليوم الذي بدأ فيه مرضه ﷺ ، وفي مدته فقيل : ثلاثة عشر يوماً ، وقيل غير ذلك .

قال ابن رجب : « كان ابتداء مرضه في أواخر شهر صفر ، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً في المشهور » .

وقال ابن حجر : « فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً » . ولم أقف على ما يَفْصِل النزاع ؛ فالله أعلم أيّ ذلك كان .

قِسمته ﷺ ما عنده من دنانير في مرضه

عن عائشة رضي الله عنها قالت : أَمَرني نبيُّ الله ﷺ أن أتَصدَّقَ بذهب كانت عندنا في مرضه ، قالت : فأفاق فقال : « ما فَعلْتِ ؟ » قالت : لَقَدْ شَغَلَني ما رأَيْتُ منك ، قال : « فَهَلُمِّيها » قالَ : فجاءت بها إليه سَبْعةُ أو تِسْعةُ - أبو حازم يَشُكُّ - [2] دنانير ، فقال حين جاءت بها : « ما ظَنُّ محمَّدٍ أنْ لو لَقِيَ الله عز وجل وهذه عنده ، وما تُبْقِي هذه من محمدٍ لو لَقِيَ الله عز وجل وهذه عنده؟ » [3] .

وورد نحو هذا الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه مطولاً عند ابن سعدٍ بإسنادٍ صحيح [4] .

---

(١) راجع : الأصل .
(٢) يعني : يَشُكُّ في كونها سبعة دنانير أو تسعة ، وأبو حازم هو سلمة بن دينار من رواة الحديث .
(٣) رواه أحمد (٦ / ٨٦) بإسناد صحيح ، وراجع : الأصل .
(٤) طبقات ابن سعد (٢ / ١٨٤) .

لا تتخذوا القبور مساجد

عن جُنْدَب بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعتُ النبى ﷺ قَبْلَ أنْ يموتَ بخَمْسٍ ، وهو يقول : « إنِّى أبرأُ إلى الله أن يكونَ لى منكم خليلٌ . فإنَّ اللهَ تعالى قد اتَّخَذَنى خليلاً ، كما اتَّخَذَ إبراهيم خليلاً . ولو كنتُ مُتَّخِذاً من أمّتى خليلاً لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خليلاً . ألاَ وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتَّخِذُون قبور أنبيائهم مساجد . ألاَ فلا تتَّخِذُوا القُبُور مَسَاجِدَ . إنِّى أنهَاكُم عن ذلك » [1] .

قصّةُ اللّدِّ

عن عائشة رضى الله عنها قالت : لَدَدْنا [2] رسُول الله ﷺ في مرضه . فَجَعَلَ يُشيرُ إلينا أن لا تلدُّونى فقُلْنَا : كراهيةُ المريضِ للدَّواء . فلمَّا أفاقَ قال : « ألَمْ أنْهكُم أنْ تلدُّونى؟ » . قلنا : كراهيةُ المريض للدَّواء ، فقال : « لا يبقى أحدٌ فى البيت إلاَّ لُدَّ وأنا أنظُر ، إلاَّ العباس فإنه لم يَشْهَدْكُم » [3] .

القراءة بالمعوِّذات

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يَقْرأُ على نَفْسه بالمعوِّذات . ويَنْفُثُ . فلمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أقْرأُ عليه .

---

(١) رواه مسلم (٥٣٢) ، وغيره ، وراجع : التحفة (٢ / ٤٤٣ / والنُّكت الظِّراف) .

(٢) اللَّدُودُ : ما سُقِيَ الإنسان فى أحد شِقَّى الفم ، ولَدِيدا الفم : جانباه . مأخوذٌ من لديدَى الوادى ، وهما : جانباه ، ومنه قيل للرَّجلِ : هو يتلدَّد . إذا تلفَّت يميناً وشمالاً . « اللسان » (م / لدد) .

(٣) رواه البخارى (٤٤٥٨) ، ومسلم (٢٢١٣)، وغيرهما . وراجع شرحه فى : فتح البارى (٧٥٤/٧).

وأَمْسَحُ عنهُ بيدِه . رجاءَ بَركَتِها » [1] .

والمعوِّذات هي : سور ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ .

والنَّفْثُ : نَفْخٌ لطيفٌ بلا ريق . قال الزهري [2] : « كان يَنْفُثُ على يديه ثم يَمْسَح بهما وجهه » .

قال عياض [3] : فائدةُ النفث التبرُّك بتلْك الرطوبة أو الهواء الذى ماسه الذكر كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر ، وقد يكون على سبيل التفاؤل بزوال ذلك الألم عن المريض كانفصالِ ذلك عن الرَّاقي . انتهى .

الاغتسال مِن سبعِ قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أَوْكِيَتهُنَّ

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لما ثَقُلَ [4] رسول الله ﷺ واشتدَّ به وَجَعُه استأذنَ أزواجَهُ أن يُمَرَّضَ في بيتي ، فأذنَّ له ، فخرجَ وهو بين الرجلين تخطُّ رِجْلاه في الأرض ، بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر . قال عُبيد الله [5] فأخبرتُ عبد الله [6] بالذى قالت عائشة ، فقال لى عبد الله ابن عباس : هل تدرى مَن الرجلُ الآخر الذى لم تُسَمِّ عائشة؟ قال : قلتُ : لا ، قال ابن عباس : هو عليٌّ [7] .

وكانت عائشة زوجُ النبى ﷺ تُحدِّثُ أن رسول الله ﷺ لما دَخَلَ بيتى

(1) رواه البخارى (٤٤٣٩ / وغير موضع) ، ومسلم (٢١٩٢ / والسياق لرواية له) .
(2) رواه البخارى (٥٧٣٥) .
(3) فتح البارى (١٠ / ٢٠٨) لابن حجر رحمه الله .
(4) ثَقُلَ الرجل ثقَلاً فهو ثقيلٌ وثاقلٌ : اشتدَّ مرضه . يُقال : أصبح فلانٌ ثاقلاً أى : أثْقَلَهُ المرَضُ » انتهى .. من « لسان العرب » (مادة / ثقل) .
(5) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : الراوى عن عائشة .
(6) عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .
(7) على بن أبى طالب رضى الله عنه .

واشتدَّ به وجعُهُ قال : هريقوا [1] عليَّ من سبع قِرَبٍ لم تُحلَلْ أوكيتهُنَّ [2] ، لعلِّي أعهد إلى الناس . فأجلسناه في مخضبٍ لحفصة زوج النبي ﷺ ، ثمَّ طفقنا نَصُبُّ عليه من تلك القرب حتى طفق [3] يشيرُ إلينا بيده أنْ قدْ فعلتُنَّ . قالت : ثمَّ خرج إلى الناس فصلَّى بهم وخطبهم » [4] .

قال الخطابي رحمه الله : يشبه أن يكون خصَّ السبع تبرُّكاً بهذا العدد ، لأن له دخولاً في كثيرٍ من أمور الشريعة وأصل الخلقة [5] .

وقوله في هذا الحديث : (لعلِّي أعْهَدُ إلى الناس) يُشيرُ إلى اقتراب الأجل ونهاية العمر الشريف للنبي ﷺ .

أمره ﷺ في مرضه لأبي بكر أن يُصلِّي بالناس وصلاته ﷺ جنب أبي بكر

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : دخلتُ على عائشة رضي الله عنها فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ قالت : « بلى ، ثَقُلَ النبي ﷺ فقال : أصلَّى الناسُ؟ قُلْنا : لا ، هم ينتظرُونكَ . قال : ضعوا لي ماءً في المخْضَبِ [6] قالت : ففعلنا ، فاغتسل فذهب لِيَنُوءَ [7] فأُغْمِيَ عليه ، ثمَّ

(1) راجع «فتح الباري» (1 / 362) (198) .
(2) الوكاء : كلُّ سيرٍ أو خيطٍ يُشَدُّ به فمُ السِّقاءِ أو الوعاء . «اللسان» (م / وكى) .
(3) يعني : شرع يشير إليهن أن قد فعلتُنَّ .
(4) رواه البخاري (4442) ، وهو عنده في مواضع تراها عند رقم (198) ، وبعض الأرقام هناك لا تخص هذا الحديث فانتبه . وراجع مسلم (418) . وراجع شرحه عند ابن حجر (7 / 748) .
(5) فتح الباري (1 / 363) .
(6) إناء يغسل فيه .
(7) يعني : ينهض ويقوم . وقد كان يغتسل قاعداً ﷺ كما قالت عائشة هنا : فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ . والله أعلم .

أفاق فقال ﷺ : أصلّى الناسُ؟ قُلنا : لا ، هم ينتظرُونكَ يا رسولَ الله ﷺ ، قال: ضعوا لى ماءً فى المخضب . قالت : فقعد فاغتسل ، ثم ذهب لينوء ، فأغمى عليه . ثم أفاق فقال : أصلّى الناس؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ﷺ فقال : ضعوا لى ماءً في المخضب . فقعد فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه. ثم أفاق فقال : أصلّى الناس؟ فقلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ـ والناسُ عكُوفٌ [١] فى المسجد ينتظرون النبيَّ ﷺ لصلاة العشاء الآخرة ـ فأرسَلَ النبيُّ ﷺ إلى أبى بكر بأنْ يُصلّى بالناس ، فأتَاهُ الرسولُ فقالَ : إنَّ رسول الله ﷺ يأمُرُكَ أنْ تُصلّى بالناس . فقال أبو بكر ـ وكان رَجُلاً رَقيقاً ـ : يا عمرُ صَلِّ بالنَّاس . فقال له عُـمر : أنتَ أحقُّ بذلك . فصلّى أبو بكر تلْكَ الأيام . ثُمَّ إنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ من نفسه خـفَّـةً ، فخرج بيْنَ رَجُلَيْنِ ـ أَحَدُهما العبـاس ـ لصلاة الظهرَ ، وأبو بكر يُصلّى بالناس ، فلما رآه أبو بكر ذهبَ ليتأخَّرَ ، فأوْمأ إليه النبى ﷺ بأنْ لا يتأخَّـرَ، قال : أجْلسَانى إلى جنبه ، فأجْـلَساه إلى جنب أبى بكر ، قال : فجعلَ أبو بكرٍ يُصلّى وهو يأتَمُّ بصلاة النبى ﷺ والناس بصلاة أبى بكرٍ والنبيُّ ﷺ قاعدٌ » .

« قال عبيد الله : فدخلتُ على عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : فقلتُ له : ألا أَعْرِضُ عليكَ ما حدَّثتني عائشة عن مرضِ النبى ﷺ؟ قال : هات . فعرضتُ عليه حديثها ، فما أنْكَرَ منه شيئاً ، غير أنَّهُ قال : أسمَّتْ لكَ الرجل الذى كان مع العباس؟ قلتُ : لا . قال : هو عليٌّ » .. انتهى [٢] .

---

(١) أي : مجتمعون ينتظرون خروج رسول الله ﷺ ومنه الاعتكاف فى المسجد ، يعنى : لزوم المسجد وحبس النَّفس عن الخروج منه . والله أعلم .

(٢) رواه البخارى (٦٨٧) ، ومسلم (٤١٨) ، وغيرهما .

مراجعة عائشة رضى الله عنها للنبى ﷺ في صلاة أبى بكر بالناس

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : « مرض النبى ﷺ فاشتدّ مرضه ، فقال : مروا أبا بكر فليصلّ بالناس . فقالت عائشة : إنه رجلٌ رقيق ، إذا قامَ مقامك لم يستطع أن يصلّي بالناس . قال : مروا أبا بكر فليصلّ بالناس . فعادت . فقال : مرى أبا بكر فليصلّ بالنّاس ، فإنكن صواحب يوسف . فأتاه الرسول [1] ، فصلّى بالناس فى حياة النبى ﷺ » [2] .

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : « إنّ رسولَ الله ﷺ قال في مرضه : مروا أبا بكر يصلّى بالناس . قالت عائشة : قلتُ إنّ أبا بكر إذا قامَ فى مقامك لم يُسمع الناس من البكاء فمُرْ عُمر فليصلّ بالناس . فقالت عائشة : فقلتُ لحفصة : قولى له إن أبا بكر إذا قامَ فى مقامك لم يُسمع الناس من البكاء فمُرْ عُمَرَ فليُصلّ للناس ، ففعلت حفصةُ ، فقال رسول الله ﷺ : « مَهْ ، **إنّكُنّ لأنْتُنّ صواحبُ يُوسفَ ، مُروا أبا بكرٍ فليُصلّ بالنّاس فقالت حفصةُ لعائشة : ما كنتُ لأُصيب منكِ خيْراً** » [3] .

وأما قوله ﷺ : « إنكُنّ صواحب يوسف » فقال ابن عبد البر رحمه الله [4] : «فإنّهُ أراد النساء وأنّهُنّ يسعينَ أبداً إلى صرف الحق واتباع الهوى، وأنّهُنّ لم يزلْنَ فتنةً يدعون إلى الباطلِ ويصدُّون عن الحق فى الأغلب» .

قال : « وخرج كلامه هذا منه ﷺ على جهة الغضب على أزواجه وهُنّ فاضلات ، وأراد جنس النساء غيرهن ، والله أعلم » .. انتهى .

---

(١) يعنى : أتى رسولُ رسولِ الله ﷺ إلى أبى بكرٍ رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى (٦٧٨) ، ومسلم (٤٢٠) ، وغيرهما .

(٣) رواه البخارى (٦٧٩) ، وراجع مسلم (٤١٨) (٩٤) (٩٥) ، وابن سعد (٢ / ١٦٨ ـ فما بعد) .

(٤) الاستذكار لابن عبد البر (٦ / ٣٣٠ ، ٣٣١) (٩٢٣٠) (٩٢٣٤) .

السبب في مراجعة عائشة للنبي ﷺ في صلاة أبي بكر بالناس

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لقد راجعتُ رسول الله ﷺ في ذلك [1] ، وما حملنى على كثرة مراجعته إلاَّ أنه لم يَقَعْ فى قلبي أن يُحبَّ النَّاسُ بعدَهُ رجلاً قام مقامه أبداً ، ولا كنتُ أرى [2] أنه لن يقومَ أحدٌ مقامه إلاَّ تشاءمَ الناسُ به ، فأردتُ أن يَعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبى بكر » [3] .

ولفظ ابن حبان رحمه الله [4] عن عائشة أنها قالت : لقد عاودتُ رسولَ الله ﷺ على ذلك ، وما حملنى على معاودته إلا أنِّي خَشيتُ أن يتشاءمَ الناسُ بأبي بكر ، وعَلمتُ أنه لن يقومَ مقامه أحدٌ إلا تشَاءَمَ الناسُ به ، فأحبَبْتُ أن يَعدلَ ذلك رسول الله ﷺ عن أبى بكر » .

لعنَ الله اليَهود والنَّصارى

عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة رحمه الله أنَّ عائشة وعبد الله بن عباس قالا : لَمَّا نُزِلَ برسولِ الله ﷺ طفقَ يَطرحُ خميصةً لهُ على وجهه ، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه فقال ـ وهو كذلك ـ : « **لَعْنَةُ الله على اليَهودِ والنَّصارى اتَّخَذُوا قُبورَ أنبيائهم مَساجد** » يُحذِّرُ ما صَنَعُوا [5] .

قال ابن حجر [6] : « كأنه ﷺ عَلِمَ أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل مَن مضى من اليَهود والنصارى . إشارة إلى ذم من يفعل ذلك » ا . هـ .

---

(١) يعنى : فى أمره بأن يُصلِّى أبو بكرٍ بالناس .
(٢) فى رواية مسلم : (وإلاَّ أنِّى كنتُ أرى ...) .
(٣) رواه البخارى (٤٤٤٥ / وغير موضع) ، ومسلم (٤١٨) .
(٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٦٨٧٤ / ط : الرسالة) .
(٥) رواه البخارى (٤٣٦) ، ومسلم (٥٣١) ، وغيرهما .
(٦) فتح البارى (١ / ٦٣٤) .

وقد ورد هذا المعنى المذكور فى حديث عائشة وابن عباس رضى الله عنهم فى غير حديث من ذلك :

ما رواه عروة بن الزبير رحمه الله عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ فى مرضه الذى لم يقم منه : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالت عائشة : لولا ذلك لأبرز قبره ، خشى أن يتخذ مسجداً » (1) .

همه ﷺ بكتابة كتاب للأمة لا تضل بعده وذكر ما فى التنازع من شؤم

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (2) : « لما حضر رسول الله ﷺ وفى البيت رجال (3) ، فقال النبيُّ ﷺ : هلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلُّوا بعده . فقال بعضهم (4) : إنَّ رسول الله ﷺ غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت واختصموا (5) ، فمنهم من يقول : قرِّبوا يكتبْ لكم كتاباً لا تضلُّوا بعده ، ومنهم من يقول غير ذلك (6) .

---

(1) رواه البخارى (4441) ، ومسلم (529) ، والسياق للبخارى رحمه الله . وراجع : الأصل .

(2) رواه البخارى (4432) حدثنا على بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس به . وهو عند مسلم (1637) ، وغيره من طريق عبد الرزاق بنحوه . وراجع لروايات هذا الحديث : الأصل ، وسأكتفى هنا بالإشارة إلى شيء من ذلك . والله أعلم .

(3) ورواه البخارى (5669) من طريق هشام ، وهو ابن يوسف ، وكذلك عن عبد الله بن محمد ، ومسلم (1637 / 22) عن محمد بن رافع وعبد بن حميد ، ورواه أحمد (1 / 336) ، وابن حبان (6597) من طريق ابن أبى السرى ، كلهم (أحمد وغيره) عن عبد الرزاق عن معمر ... بإسناده وفيه : « وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب » .

(4) وفى بعض الروايات : « فقال عمر » .

(5) وفى بعض الروايات : « فاختلف أهل البيت ، فاختصموا » وعند البخارى (114) : « فاختلفوا وكثر اللغط » .

(6) وفى بعض الروايات : « ومنهم من يقول ما قال عمر » . =

فلما أكثروا اللغوَ والاختلاف قال رسولُ الله ﷺ : قوموا [1] . قال عُبيد الله : فكان يقولُ ابنُ عباس : إنَّ الرَّزِيَّة كُـلَّ الرَّزِيَّـة [2] ما حالَ بَـيْن رسول الله ﷺ وبَـيْـنَ أن يَكتُـبَ لهم ذلك الكتابَ لاختلافهم ولغَـطِهم » .

وفي رواية [3] : عن ابن عباسٍ رضى الله عنهما قال : يومُ الخميس وما يوم الخميس [4] . اشتدَّ برسول الله ﷺ وجعـه فقال : ائتونى أكْـتُب لكم كتاباً لن تَضِـلُّوا بعدَه أبداً . فتنازعوا ، ولا ينبغى عندَ نبيٍّ نزاع [5] ، فقالُوا : ما شأنُه ؟ أَهَـجَـرَ؟ [6] استفهموه . فذهبوا يردُّون عليه . فقال : دَعونى . فالذى أنا فيه خيرٌ مما تَـدْعوننى إليه .

= قال القرطبى رحمه الله : واختلافهم في ذلك كاختلافهم فى قوله لهم : « لا يُصَـلِّيَنَّ أحد العصر إلاَّ فى بنى قريظة » ، فتخوَّف ناس فَـوْتَ العصر فصلُّوا ، وتمسَّـكَ آخرون بظاهر الأمر فلم يصلُّوا ، فما عنَّـف أحداً منهم من أجل الاجتهاد المسوِّغ والمقصد الصالح . والله أعلمَ » انتهى من «فتح البارى» (١ / ٢٥٢ ، ٢٥٣) .

(١) وعند البخارى (١١٤) : « قوموا عنِّى ، ولا ينبغى عندى التنازع » .

(٢) يعنى : المصيبة ، ووقع فى « فتح البارى » (١ / ٢٥٣) : « الرزيئة » بمثناة من أسفل بعدها همزة.

(٣) رواه البخارى (٤٤٣١) حدثنا قتيبة حدثنا سفيان بن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباسٍ ... به . ورواه مسلم (١٦٣٧ / ٢٠) من طريق سفيان بإسناده نحوه .

(٤) وعند البخارى (٣٠٥٣) : « ثم بكى حتى خَـضَـبَ دَمْـعُـه الحَـصْباءَ » ، و(٣١٦٨) « ثم بكى حتى بـلَّ دمـعُه الحصى » وهكذا رواه مسـلم (١٦٣٧ / ٢٠) وعنـد مُسلم (١٦٣٧ / ٢١) : « ثم جعل تسيل دموعـه حتى رأيت على خدَّيْـه كأنها نظَـامُ اللُّـؤْلُـؤ » . ونحـوه عند ابن سعد (٢ / ١٨٧ ، ١٨٨) .

(٥) مضى فى الرواية السابقة فى هذا الحديث عند البخارى (١١٤) : « .... فاختلفوا وكثر اللغطُ . قال: قوموا عنى ولا ينبغى عندى التنازع » .

(٦) قال ابن حجر (٧ / ٧٣٩) : « وقد تكلَّم عياض وغيره في هذا الموضع فـأطالوا ولخَّـصَـهُ القرطبىُّ تلخيصاً ثم لخَّصتُه من كلامه وحاصله : أن قوله : هَـجَر الراجح فيه إثبات همزة الاستفهام وبفتحاتٍ على أنه فعل ماض .... والمـراد به هـنا : ما يـقع من كـلام المريـض الذى لا ينـتظم ولا يـعْـتَـد به لعدم فائدته . ووقوع ذلك عن النبى ﷺ مستحيل ؛ لأنه معصوم فى صحته ومرضه لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ، ولقوله ﷺ : «إنّى لا أقولُ فى الغَـضَب والرِّضَا إلاَّ حَـقًّا» وإذا عرِفَ ذلك فإنما قاله مَن قاله مُـنكراً على مَن تَوقَّـفَ فى امتثال أمره بإحضار الكتف والدَّواة فكأنَّـه قال : كيفَ تتوقَّف؟ أتظنُّ أنه كغيره يقول الهذيان فى مرضه؟ امتثل أمرَه وأحضر ما طلب فإنه لا يقول إلا الحق . قال القرطبىُّ رحمه الله : وهذا أحسن الأجوبة » انتهى بتصـرُّف .

وأوصاهم بثلاث قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب [(١)] وأجيزوا [(٢)] للوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها » [(٣)] .

وفى « حاشية مسلم » وهى مأخوذة من « شرح النووى » :

« اعلم أن النبيّ ﷺ معصوم من الكذب ، ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية فى حال صحته وحال مرضه ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه . وليس معصوماً من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها ، مما لا نقص فيه لمنزلته ، ولا فساد لما تمهّد من شريعته . وقد سُحِرَ ﷺ حتى صار يُخَيَّلُ إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله . ولم يصدر منه ﷺ فى هذه الحال كلام فى الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التى قررها فإذا علمتَ ما ذكرناه فقد اختلفَ العلماءُ فى الكتاب الذى هَمَّ النبى ﷺ به . فقيل : أراد أن ينص على الخلافة فى إنسانٍ معينٍ لئلا يقع فيه نزاع وفتن .

وقيل : أراد كتاباً يُبيِّنُ فيه مهمّات الأحكام ملخّصة ليرتفع النزاع فيها ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه . وكان النبى ﷺ همَّ بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة ، أو أُوحى إليه بذلك ثم ظهر أن المصلحة تركه . أو أُوحى إليه بذلك ونسخ ذلك الأمر الأول .

وأما كلام عمر رضى الله عنه فقد اتَّفَقَ العُلَمَاء المتكلّمون فى شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره ؛ لأنه خشى أن يكتب ﷺ أموراً ربما عجزوا عنها واستحقّوا العقوبة عليها لأنها منصوصة

(١) راجع : التمهيد لابن عبد البر رحمه الله (١ / ١٦٩ ـ فما بعد) .

(٢) الجائزة : العطيّة من أجازه يجيزه إذا أعطاه . (لسان العرب / جوز) .

(٣) الساكت هو ابن جبير ، والناسى هو سليمان الأحول . وقد اختلفَ فى الوصية الثالثة على أقوالٍ راجع لها فتح البارى (٧ / ٧٤١) .
وبما يجدر ذكره أن الوصية الثالثة التى نسيها الراوى هنا ، وإن لم نعلمها تعييناً ، وردت إلينا من غير هذا الوجه يقيناً إذ يستحيل أن يُنْسى شيء من الشرع أو يضيع على الأمة ، بعد أن تكفّل سبحانه بحفظه . والله أعلم .

لا مجال للاجتهاد فيها .

فقال عمر : حسبنا كتاب الله ، لقوله تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ﴾ وقوله : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فعلم أن الله تعالى أكمل دينه فأمن الضلال على الأمة ، وأراد الترفيه على رسول الله ﷺ ، فكان عمر أفقه من ابن عباسٍ وموافقيه .

قال الخطابى : (ولايجوز أن يحمل قول عمر على أنه توهّم الغلط على رسول الله ﷺ ، أو ظنَّ به غير ذلك مما لا يليق به بحال ، لكنه لما رأى ما غلب على رسول الله ﷺ من الوجع وقرب الوفاة ، مع ما اعتراه من الكرب خاف أن يكون ذلك القول مما يقوله المريض مما لا عزيمة له فيه ، فيجد المنافقون بذلك سبيلاً إلى الكلام فى الدين . وقد كان أصحابه ﷺ يراجعونه فى بعض الأمور قبل أن يجزم فيها بتحتيم . كما راجعوه يوم الحديبية فى الخلاف ، وفى كتاب الصلح بينه وبين قريشٍ . فإذا أمر النبىُّ ﷺ بالشىء أمر عزيمةٍ فلا يراجعه فيه أحد منهم) انتهى .

قال ابن حجر (١ / ٢٥٢) :

« قال القرطبى رحمه الله (ائتونى) أمر ، وكان حقُّ المأمور أن يبادر للامتثال ، لكن ظهر لعمر رضى الله عنه مع طائفة أنه ليس على الوجوب ، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح فكرهوا أن يكلفوه من ذلك ما يشق عليه فى تلك الحالة مع استحضارهم قوله تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ﴾ وقوله تعالى : ﴿تبيانًا لكل شىءٍ﴾ . ولهذا قال عمر : حسبنا كتاب الله .

وظهر لطائفة أخرى أن الأولى أن يكتب لما فيه من امتثال أمره وما يتضمّنه من زيادة الإيضاح ، ودلَّ أمره لهم بالقيام على أن أمره الأول كان على الاختيار ، ولهذا عاش ﷺ بعد ذلك أيّاماً ولم يعاود أمرهم بذلك ، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم ؛ لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف ، وقد كان

الصحابة يُراجعونه فى بعض الأمور ما لم يَجْزم بالأمر ، فإذا عزمَ امتثلوا . وسيأتى بَسْطُ ذلك فى كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى وقد عـدَّ هذا من موافقة عمر رضى الله عنه .

واختلف فى المراد بالكتاب ، فقيل : كان أراد أن يكتب كتاباً ينصُّ فيه على الأحكام ليرتفع الاختلاف ، وقيل : بل أراد أن ينص على أسامى الخُلَفاء بعده حتّى لا يقع بينهم الاختلاف ، قاله سفيان بن عُيينة ، ويؤيده أنه ﷺ قال فى أوائل مرضه وهو عند عائشة : « ادعى لى أباك وأخاك حتّى أكْتب كتاباً ، فإنّى أخاف أن يتمنّى مُتَمنٌّ ويقول قائل ، ويأبى الله والمؤمنون إلاَّ أبا بكر » أخرجه مسلم . وللمصنّف معناه ، ومع ذلك فلم يكتب ، والأول أظهر لقول عمر : كتاب الله حسبنا ، أى : كافينا ، مع أنه يشمل الوجه الثانى لأنه بعض أفراده ، والله أعلم » انتهى .

وفى مسند أحمد (١/٩٠) عن علِى بن أبى طالب رضِى الله عنه قـال : أمَـرَنى النبىُّ ﷺ أنْ آتيه بطبقٍ يكتب فيه ما لا تضلُّ أمَّته من بعده ، قال : فخشيتُ أن تَفُوتنى نَفْسُه ، قال : قلت : إنّى أحفظُ وأعىَ قال : « **أوصى بالصلاةِ والزكاةِ وما ملكَتْ أيمانُكُم** » . وعند ابن سعد نحوه مطولاً (٢/١٨٧) روياه من طريق نعيم بن يزيد عن علىٍّ به ، ونعيم مجهول . وقد ورد عن علىٍّ بغير هذا اللفظ فى المسند وغيره من وجهٍ آخر .

هذا ولم يرد ما يقطع العذر ويمنع التشاغب فى بيان الكتاب الذى هَـمَّ رسول الله ﷺ بكتابته ، وإن كان الأقرب إلى ذلك أنه أراد أن يكتب كتاباً بالخلافة من بعده [١] وهمُّه بكتابة كتابٍ لأبى بكرٍ ، وأمره له بالصلاة بالناس ، وغير ذلكَ يؤيد هذا . والله أعلم .

وقد تكلمت الرافضة وغيرهم فى هذا المقام بجهلٍ ، وزلّت فيه أقدامهم ، وحفظ الله سبحانه أهل السنة من ذلك كله .

---

(١) راجع : أبواب الخلافة من الأصل . مهم .

قال ابن كثيرٍ رحمه الله فى « البداية والنهاية » (٥/٢٠٠ ـ ٢٠١) :

« وهذا الحديث مما قد توهم به بعض الأغبياء من الشيعة وغيرهم كلُّ مُـدَّعٍ أنه كان يريد فى ذلك الكتاب ما يَـرْمونَ إليه من مقالاتهم ، وهذا هو التمسُّك بالمتشابه ، وترك المحكم ، وأهل السنة يأخذون بالمحكم ، ويردُّون ما تشابه إليه ، وهذه طريقة الراسخين فى العلم كما وصفهم الله عز وجل فى كتابه ، وهذا الموضع مما زلَّ فيه أقدام كثيرٍ من أهل الضلالات ، وأما أهل السنة فليس لهم مذهب إلاَّ اتباع الحق يدورون معه كيفما دار ، وهذا الذى كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه قد جاء فى الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه ، فإنه قد قال الإمام أحمد (٦/١٠٦) : حدثنا مؤمل ثنا نافع يعنى : ابن عمر ثنا ابن أبى مليكة عن عائشة قالت : لما كان وجع رسول الله ﷺ الذى قُبِضَ فيه قال :

« **ادعوا لى أبا بكر وابنه (فليكتب) لكى لا يطمع فى أمرِ أبى بكرٍ طامعٌ ولا يتمنَّاه متمنٍّ** . ثم قال : « **يأبى الله ذلك والمؤمنون** » . مرتين . قالت عائشة : فأبى الله ذلك والمؤمنون . انفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد (٦ / ٤٧) :

حدثنا أبو معاوية ثنا عبد الرحمن بن أبى بكرٍ القُرشى عن ابن أبى مليكة عن عائشة . قالت : لما ثَـقُـل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبى بكر : « **ائتنى بكَتِفٍ أو لوحٍ حتى أكتبَ لأبى بكرٍ كتاباً لا يختلف عليه أحد** ، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم . قال : « **أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر** » . وعن عبادة بن الصامت قال : « خرج النبى ﷺ ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحى فلان وفلان فَـرُفِعَـتْ ، وعسى أن يكونَ خيراً لكم ، التمسوها فى السبع والتسع والخمس » ا . هـ. [رواه البخارى (٤٩) (٢٠٢٣) (٦٠٤٩)] . وغيره .

وعند مسلم (٢١٧) عن أبى سعيد الخدرى نحوه وفيه قال رسول الله ﷺ : **« يا أيُّها الناس إنها كانت أُبينت لى ليلة القدر ، وإنى خرجتُ لأخبركم بها فجاء رجلان يحتقَّان معهما الشيطان فنُسِّيتُها فالتمسوها فى العشر الأواخر من رمضان »** .

قال ابن حجر (١ / ١٣٩) :

قال القاضى عياض - رحمه الله : « فيه دليل على أن المخاصمة مذمومة وأنها سبب فى العقوبة المعنوية أى : الحرمان » ا . هـ .

وقال ابن كثير فى «تفسيره» (٤٦٧/٤) : « فيه استئناس لما يُقال إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع » ا . هـ .

وقد ذكرت شيئاً من ذم المخاصمة والتنازع فى « ذم الفرقة » يسَّر الله إتمامه بخير .

تخيير رسول الله ﷺ بين الدنيا والآخرة واختياره ما عند الله

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح : إنَّه لم يقبض نبيٌّ حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يخيَّر . فلمَّا نزل به ورأسه على فخذى غشى عليه ، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال : اللهمَّ الرفيق الأعلى . فقلت : إذاً لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذى يحدِّثنا وهو صحيح . قالت : فكان آخر كلمة تكلَّم بها : اللهمَّ الرفيق الأعلى » (١) .

وفي رواية عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنتُ أسمعُ أنه لا يموتُ نبيٌّ حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة ؛ فسمعتُ النبى ﷺ يقول فى مرضه الذى مات فيه - وأخذته بُحَّةٌ - يقول : ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية ، فظننتُ أنه خُيِّرَ » (٢) .

وفى لفظ عن عائشة رضى الله عنها قالت : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من نبيٍّ يمرضُ إلاَّ خُيِّرَ بينَ الدنيا والآخرة . وكان فى شكْواهُ الذى قُبِضَ فيه أخذَتْهُ بُحَّةٌ شديدة ، فَسَمِعْتُهُ يقول : ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ فعلمتُ أنَّهُ خُيِّرَ » (٣) .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: إنَّ الله خَيَّرَ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبدُ ما عند الله . قال : فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يُخبرَ رسول الله ﷺ عن عبدٍ خُيِّرَ ، فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيَّرُ وكان أبو بكرٍ أعلمنا » (٤) .

---

(١) رواه البخارى (٤٤٦٣ / وغير موضع) ، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٧) ، وغيرهما .

(٢) رواه البخارى (٤٤٣٥) ، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٦) ، وغيرهما .

(٣) رواه البخارى (٤٥٨٦) .

(٤) رواه البخارى (٤٦٦) (٣٦٥٤) ، ومسلم (٢٣٨٢) ، وغيرهما .

اطلاعه ﷺ على الناس وهم يصلون خلف أبي بكر رضي الله عنه

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كشف رسولُ الله ﷺ السِّتارة ، والناس صفوفٌ خلف أبي بكرٍ فقال : « **أيُّها الناسُ! إنَّهُ لم يَبْقَ من مُبشِّرات النُّبوَّة إلا الرُّؤيا الصالحة يراها المسلمُ . أو تُرَى له . ألاَ وإنِّى نُهيتُ أنْ أقرأ القرآنَ راكعاً أو ساجداً . فأمَّا الرُّكوعُ فعَظِّمُوا فيه الرَّب عز وجل . وأمَّا السجودُ فاجتهدُوا فى الدُّعاء فَقَمِنٌ [1] أن يُستَجاب لكم** » [2] .

فلمَّا كان آخر يوم فى عمره الشريف نظر إلى الناس وهم خلف أبي بكر وهم صفوفٌ فكشف ﷺ ستر الحجرة ينظر إليهم وهو قائمٌ كأنَّ وجهه ورقة مصحف ، ثمَّ تبسَّم يضحك ، فهمَّ الناس أن يفتتنوا من الفرح برؤية النبى ﷺ ونكص أبو بكر عن عقبيه ليصل الصفَّ وظنَّ أن النبيَّ ﷺ خارجٌ إلى الصلاة ، فأشار إليهم النبيُّ ﷺ أن أتمُّوا صلاتكم ، وأرخى السِّتر ، فتوفِّى من يومه » [3] .

فكانت هذه النظرة منه ﷺ لأصحابه هى الوداع الأخير ، بعدها أرخى السِّتر لتبدأ رحلة الانتقال عن دار الفناء والكدر - يعنى : الدنيا - إلى دار النعيم المقيم فى جنات عدنٍ ، حشرنا الله معه ﷺ ومع إخوانه من النبيين والمرسلين ... آمين .

---

(١) أى : فحقيق وجديرٌ .

(٢) رواه مسلم (٤٧٩) ، وغيره .

(٣) ورد ذلك فى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عند البخارى (٦٨٠) ، وغيره .

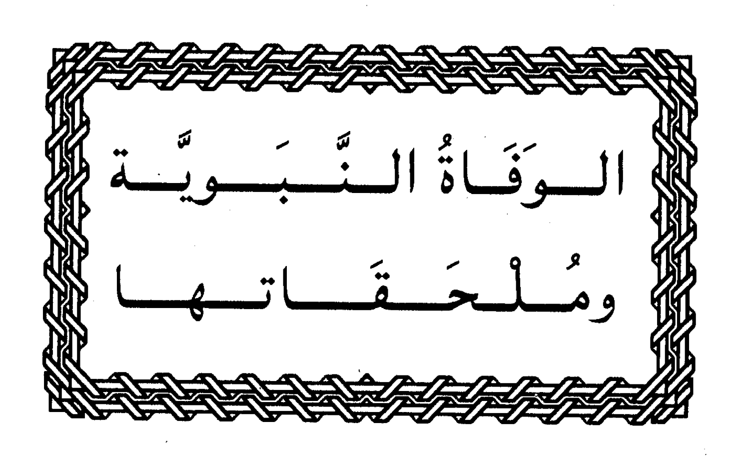
النظـــرة الأخـيـــرة

عن أنس بن مالك الأنصاري - رضى الله عنه - وكان تَبِعَ النبى ﷺ وخدمه وصحبه - أنَّ أبا بكر كان يُصلِّى لهم فى وجع النبى ﷺ الذى توفِّى فيه ، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلاة ، فكشفَ النبيُّ ﷺ ستر الحجرة ينظُر إلينا وهو قائمٌ كأنَّ وجهَه ورقةُ مُصْحَف ، ثُمَّ تبسَّم يضحك، فهممنا أن نَفْتَتنَ من الفرح برؤية النبى ﷺ فنكص أبو بكر على عقبيه ليصلَ الصفَّ ، وظنَّ أن النبى ﷺ خارجٌ إلى الصلاة ، فأشار إلينا النبيُّ ﷺ أن أتمُّوا صلاتكم ، وأرخى السِّتر ، فتُوفِّى من يومه » [1] .

فكانت هذه النظرة هى الأخيرة منه ﷺ لأصحابه ، كما كانت آخر نظرة نظرها أصحابه إليه بعدها أرخى ﷺ السِّتر وقد اطمأن على أمته خلف أبى بكر رضى الله عنه ، وواصل الصحابة صلاتهم . ومات ﷺ من يومه .

---

(١) رواه البخارى (٦٨٠) ، وغيره .


الوَفَاةُ النَّبَوِيَّة
ومُلْحَقَاتها

تَسَوُّكُه ﷺ عند موته

دخل عبد الرحمن بن أبي بكر شقيق عائشة رضي الله عنهم على النبي ﷺ وهو في اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة فوجده مُسْنَداً إلى صدر عائشة رضي الله عنها ، وفي يد عبد الرحمن سواك ، فنظر رسول الله ﷺ إلى السواك ، وعرفت عائشة أنه يريده فأخذته من عبد الرحمن وهيَّئته للنبي ﷺ ، وأعطته له ، فاستاك به كأحسن ما كان يستاك فما فرغ من السواك حتى رفع يده إلى السماء قائلاً : في الرفيق الأعلى ثلاثاً قُبض على إثرها ﷺ (١) .

الكَلِمَةُ الأَخِيرة

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح : إنَّهُ لم يُقبض نبيٌّ حتى يرى مَقعدهُ من الجنة ، ثُمَّ يُخيَّر . فلما نزل به ورأسه على فخذي غُشيَ عليه ، ثم أفاقَ فأشخصَ بصرهُ إلى سقف البيت ثم قال : اللهم الرفيق الأعلى . فقلتُ: إذاً لا يختارنا ، وعرفتُ أنه الحديث الذي يحدِّثنا وهو صحيح . قالت : فكان آخرَ كلمةٍ تكلَّم بها : «اللهم الرفيقَ الأعلى» (٢) .

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ وأَصْغَتْ إليه قبل أن يموتَ وهو مُسْنَدٌ إليَّ ظهرُه يقول : « **اللهم اغفر لي وارحمني وألْحِقْني بالرفيق** » (٣) .

وفي رواية ثالثة عن عائشة رضي الله عنها ذكرت تسوُّك النبي ﷺ ثم قالت : وبين يده رِكْوَةٌ ـ أو علبةٌ ـ فيها ماء ، فجعل يُدْخِلُ يديه في الماء فيمسح

---

(١) راجع : « ذِكْر صعود الروح الشريفة إلى بارئها سبحانه وتعالى » وسيأتي إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب .

(٢) رواه البخاري (٤٤٦٣ / وغير موضع) ، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٧) ، وغيرهما .

(٣) رواه البخاري (٤٤٤٠) ، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٥) ، وغيرهما .

بهما وجهَـهُ يقولُ : لا إله إلاَّ الله ، إن للموت سكرات . ثم نصب يدَه فجعل يقول : في الرفيق الأعلى ، حتى قُـبضَ ومَالتْ يده » [1] .

معـانـاته ﷺ من شـدّة المـرض والمـوت

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما رأيتُ أحداً أشدّ عليه الـوَجَـعُ من رسول الله ﷺ » [2] .

الوجع هنا المرض . والعرب تُسمّى كُـلَّ مرضٍ وجعاً .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يُوعَـكُ وعكاً شديداً ، فـمَـسَسْتـهُ بيدى فقلتُ : يا رسولَ الله ، إنّك توعَـكُ وعْـكاً شديداً [3] ، فقـال رسولُ الله ﷺ : أجَـلْ ، إنِّى أوعَـكُ كـمـا يوعَـكُ رجُـلاَن منكم . فقلت : ذلك أنَّ لكَ أجرَين .فقـالَ رسول الله ﷺ : أجَـلْ . ثم قـالَ رسـولُ الله ﷺ : « ما من مُـسْـلمٍ يصـيبه أذىً : مرض فـمـا سواه ، إلاَّ حطَّ الله سيِّئاته كما تَحُـطُّ الشجرةُ ورَقَها » [4] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : « مات النبى ﷺ وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى ، فلا أكرهُ شدةَ الموت لأحدٍ أبداً بعدَ النبى ﷺ » [5] .

وهذه الشدة المذكورة فى هذه الأحاديث قد ورد معناها فى روايات أخرى متفرِّقة فى هذا الكتاب ، وبيِّن فى حديث ابن مسعود المذكور هنا أن له ﷺ بسبب ذلك أجر رجلين، وقد شاء سبحانه وتعالى أن يجد رسوله ﷺ شدةً فى مرضه وعند موته رفعةً لقدره وإعلاءً لمنزلته ﷺ فوق ما له من منزلة ، ولذلك ختم الله له عمره المبارك بالحج والاستغفار وغيرهما من الأعمال الصالحة المباركة .

---

(١) رواه البخارى (٤٤٤٩) .
(٢) رواه البخارى (٥٦٤٦) ، ومسلم (٢٥٧٠) ، وغيرهما .
(٣) الوعْـك : قيل : هو الحمَّى ، وقيل : ألمها ، وقيل : مَـغْثُ المرض . راجع «لسان العرب / وعك» .
(٤) رواه البخارى (٥٦٦٠) ومواضع أخرى تراها فى (المرضى / ٥٦٤٧) ، ومسلم (٢٥٧١)، وغيرهما.
(٥) رواه البخارى (٤٦٤٦) .

إنَّ للموتِ سكرات

عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : « إنَّ من نِعَم الله علىَّ أنَّ رسول الله ﷺ توفِّى فى بيتى ، وفى يومى وبين سَحْرى ونَحْرى [1] ، وأنَّ الله جمعَ بَيْنَ ريقى وريقه عند موته : دخلٍ علىَّ عبد الرحمن [2] وبيده السِّواك ، وأنا مسندة رسول الله ﷺ ، فرأيته ينظر إليه ، وعرفتُ أنه يحبُّ السِّواك ، فقلتُ : آخذهُ لك؟ فأشار برأسه أنْ نعم ، فليَّنْتُهُ فأَمَرَّهُ [3] ، وبين يدهِ رِكْوَةٌ ـ أو علبةٌ ـ فيها ماء ، فجعل يُدْخِلُ يديه فى الماءِ فيمسح بهما وجهه يقول : لا إله إلا الله ، إنَّ للموت سكرات. ثم نصبَ يدهُ فجعل يقول : فى الرفيق الأعلى ، حتى قُبِضَ ومَالتْ يده » [4] .

ذكرُ صُعُود الرُّوح الشريفة إلى بارئها سبحانه وتعالى

عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : إنَّ من نعم الله علىَّ أن رسولَ الله ﷺ تُوفِّى فى بيتى ، وفى يومى ، وبين سَحْرى ونَحْرِى ، وأنَّ الله جمعَ بينَ ريقى وريقه عند موته : دخل علىَّ عبدُ الرحمن وبيده السِّواك ، وأنا مسندةُ رسول الله ﷺ ، فرأيته يَنْظُرُ إليه ، وعرفتُ أنه يحبُّ السواكَ ، فقلتُ : آخذهُ لك؟ فأشار برأسه أنْ نعم ، فتناولته فاشتدَّ عليه ، وقلتُ : أُلَيِّنهُ لك؟ فأشار برأسِه أنْ نعم ، فليَّنْتُه فأمرَّه ، وبين يدِه ركوة ـ أو علبةٌ يشكُّ

(١) السَّحْر بفتح السين وسكون الحاء المهملتين : الصدر وهو فى الأصل الرئة «الفتح» (٧ / ٧٤٦) . والنَّحْر : موضع النَّحْر حيث يبدو الحلقوم من أعلى الصدر .

(٢) عبد الرحمن بن أبى بكر شقيق عائشة رضى الله عنهم .

(٣) أى : أمرَّه على أسنانه فاستاك به .

(٤) رواه البخارى (٤٤٤٩) .

عُمَرُ ـ [1] فيها ماء ، فجعل يُدْخِلُ يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول : لا إله إلا الله ، إنَّ للموت سكرات . ثم نصب يده فجعل يقول : في الرفيق الأعلى ، حتى قُبِضَ ومالَتْ يده » [2] .

وفي لفظٍ [3] عن عائشة رضى الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذى مات فيه يقول : أين أنا غداً ، أين أنا غداً ؟ يُريد يومَ عائشةَ ، فأذن له أزواجهُ يكونُ حيث شاء ، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها . قالت عائشة : فمات في اليوم الذي كان يدورُ عليَّ فيه في بيتي ، فقبضَهُ الله وإنَّ رأسَه لبَيْن نحرى وسَحْرى ، وخالط ريقُه ريقى . ثم قالت : دخل عبدُ الرحمن بن أبي بكر ومعه سواكٌ يَسْتَنُّ به ، فنظر إليه رسولُ الله ﷺ ، فقلتُ له : أَعْطِنِي هذا السواك يا عبد الرحمن ، فأعطانيه فقَضَمْتُه [4] ثم مضَغْتُه ، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستنَّ به وهو مستنِدٌ إلى صدرى » .

وفي لفظٍ ثالثٍ [5] عن عائشة رضى الله عنها قالت : « تُوفِّي النبى ﷺ في بيتى ، وفي يومى ، وبين سَحْرى ونَحْرى ، وكانت إحدانا تُعَوِّذُه بدعاءٍ إذا مرض ، فذهبتُ أُعوِّذُه فرفَعَ رأسَهُ إلى السماء وقال : في الرفيق الأعلى . ومر عبد الرحمن بن أبي بكرٍ وفي يده جريدةٌ رطبةٌ ، فنظر إليه النبى ﷺ ، فظننتُ أن له بها حاجةً ، فأخذتها فمضغتُ رأسَها ونفضتُها فدفعتُها إليه ، فاستنَّ بها كأحسنِ ما كانَ مُسْتناً ، ثم ناولَنيها ، فسقطَتْ يده ـ أو سقطت من يده ـ فجمع الله بين ريقى وريقه في آخر يومٍ من الدُّنيا وأوَّلِ يومٍ من الآخرة » .

وفي لفظٍ رابعٍ [6] عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلَ عبد الرحمن بن

---

(١) عُمر بن سعيد أحد رواة الإسناد .
(٢) رواه البخارى (٤٤٤٩) .
(٣) رواه البخارى (٤٤٥٠) .
(٤) القَضْم : الأخذ بأطراف الأسنان (اللسان / قضم) .
(٥) رواه البخارى (٤٤٥١) .
(٦) رواه البخارى (٤٤٣٨) .

أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري ومع عبد الرحمن سواكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ به ، فأَبَدَّه [1] رسول الله ﷺ بصره ، فأخذت السِّواك فقضمته ونفضته وطيَّبْتهُ ، ثم دفعتهُ إلى النبي ﷺ فاستنَّ به ، فما رأيت رسول الله ﷺ استنَّ استناناً قطُّ أحسنَ منه ، فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفعَ يده أو إصبعه ثم قال : في الرفيق الأعلى ـ ثلاثاً ـ ثم قَضَى . وكانت تقول : مات بين حاقنتي وذاقنتي [2] .

تَسْجِيَةُ رسول الله ﷺ بعد موته بِبُرْدٍ حِبَرَةٍ

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سُجِّي [3] رسولُ الله ﷺ حينَ مات بثوبٍ [4] حِبَرَةٍ » [5] .

وعند البخاري (١٢٤١) : « أقبل أبو بكر رضي الله عنه على فرسه من مسكنه بالسُّنْحِ حتى نزل فدخل المسجد فلم يُكلِّم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها ، فتيمَّم النبيُّ ﷺ ـ وهو مُسَجًّى [6] بِبُرْدِ حِبَرَةٍ ـ فكشف عن وجهه ، ثم أكبَّ عليه فقبَّله ثم بكى فقال : « بأبي أنتَ وأمي يا نبيَّ الله » .

---

(١) بتشديد الدال المهملة أي : مدَّ بصره إليه وأطال في ذلك .

(٢) الحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة هو ما بين السحر والنحر ، والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها ﷺ . قاله ابن حجر (٧٤٦/٧) .

(٣) أي : غطِّي جميع جسده الشريف «اللسان / سجا» .

(٤) نوع من برود اليمن .

(٥) رواه البخاري (٥٨١٤) ، ومسلم (٩٤٢) ، والسياق لمسلم ، وسياق البخاري : أن رسول الله ﷺ حين توفِّي سجِّي ببردٍ حبرةٍ » .

(٦) وعند البخاري (٤٤٥٢) : (وهو مغشَّى بثوبِ حِبَرَةٍ) . والمعنى واحد .

ذِكْرُ ما قالته فاطمة رضى الله عنها عند موت رسول الله ﷺ

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لَمَّا ثَقُلَ النبى ﷺ جَعَلَ يتغشَّاه ، فقالت فاطمة رضى الله عنها : وا كَربَ أباه ، فقال لها : ليس على أبيك كربٌ بعدَ اليوم . فلما مات قالت : « يا أبتاهُ أجابَ ربّاً دَعَاهُ ، يا أبتاهُ مَن جنَّة الفِرْدوس مأواهُ ، يا أبتاهُ إلى جبريلَ ننعاهُ » [1] .

القُبْلَةُ الأخيرة : وداعاً صاحبى

عن عائشة رضى الله عنها : « أن أبا بكر رضى الله عنه أقبل على فرسٍ من مسكنه بالسُّنْحِ ، حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ، فتيمَّم رسول الله ﷺ وهو مُغشَّى بثوب حِبَرة ، فكشف عن وجهه ، ثم أكبَّ عليه فقبَّله وبكى ، ثم قال : بأبى أنتَ وأمى ، والله لا يجمع الله عليك موتَتين ، أما الموتةُ التى كُتِبَتْ عليك فقد مُتَّها » [2] .

وعن عائشة وابن عباس : « أن أبا بكر رضى الله عنه قبَّل النبى ﷺ بعد موته » [3] .

فكانت هذه هى القُبْلة الأخيرة ، وآخر نظرة ينظرها أبو بكر لوجه النبى ﷺ .

---

(١) راجع لهذا الحديث : « ذِكْرُ ما قالته فاطمة رضى الله عنها بعد دفن النبى ﷺ » وسيأتى فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٢) رواه البخارى (١٢٤١) ، والسياق له فى « المغازى » (٤٤٥٢) .

(٣) رواه البخارى (٤٤٥٥) .

مكان الوفاة

لا خلاف فى أن النبى ﷺ قد تَوفَّاه الله فى بيتِ عائشة رضى الله عنها ، وهو مستنِدٌ إليها رضى الله عنها ، وقد جاء الحديثُ بذلك كله ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : إنَّ مِن نعم الله عليَّ أنَّ رسول الله ﷺ تُوفِّى فى بيتى ، وفى يومى ، وبين سَحْرِى ونَحْرِى » [1] والسَّحْر بفتح السين وسكون الحاء المهملتين : الصدر وهو فى الأَصل الرئة [2] والنَّحرْ : موضع النَّحر حيث يبدو الحلقوم من أعلى الصدر .

وفى لفظٍ قالت رضى الله عنها : « فمات فى اليوم الذى كان يدور عليَّ فيه فى بيتى ، فقبضَهُ الله وإنَّ رأسَهُ لبَيْن نحرى وسَحْرِى ، وخالط ريقُه ريقى » [3] .

وفى حديث أنسٍ أن النبى ﷺ كشف سِتر حجرةِ عائشة رضى الله عنها فنظرَ إليهم وهم صفوفٌ خلف أبى بكر وذلك فى صلاة الفجر ، ثم دخل الحجرة وأرخى السِّتْر وتُوفِّى ذلك اليوم ﷺ [4] .

وفى رواية عن عائشة قالت : « لقد رأيتُ النبى ﷺ وإنِي لـمُسْنِدته إلى صدرى ، فدعا بالطَّسْتِ فانْخَنَثَ [5] فمات فما شَعَرْتُ » [6] .

---

(١) رواه البخارى (٤٤٤٩) .

(٢) فتح البارى (٧ / ٧٤٦) .

(٣) رواه البخارى (٤٤٥٠) . وراجع : « ذكر صعود الروح الشريفة إلى بارئها سبحانه وتعالى » من هذا الكتاب .

(٤) رواه البخارى (١٢٠٥) ، ومسلم (٤١٩) .

(٥) أى : انثنى ومال .

(٦) رواه البخارى (٢٧٤١) (٤٤٥٩) ، ومسلم (١٦٣٦) وغيرهما .

سبب الوفاة

عن أنس بن مالك رضى الله عنه : « أن يهودية أتت النبى ﷺ بشاة مَسْمُومَةٍ فأكَلَ منها ، فقيل : ألا نَقْتُلُها ؟ قال : لاَ . فما زلتُ أعرِفُهَا فى لَهَوَاتِ رسول الله ﷺ » (١) .

واللهوات مفردها : لَهَاة وهى اللحمة الحمراء المعلّقة فى أصل الحنك ، واللّهاة من كلِّ ذى حَلْقٍ : اللحمة المشرفة على الحلق . وقيل : هى ما بين مُنْقَطَع أَصْلِ اللسان إلى مُنقَطِعِ القلب من أعلى الفم . واللّهاة : أقصى الفم (٢) .

وقول أنس رضى الله عنه : « فما زلتُ أعرفها فى لهوات رسول الله ﷺ » ، يفيد أن السُّم ترك أثراً فى لهوات رسول الله ﷺ (٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما فُتحتْ خيبرُ أُهديت لرسول الله ﷺ شاةٍ فيها سمّ ، فقال رسول الله ﷺ : اجمعوا لى مَن كان ها هنا من اليهود ، فجمعوا له ، فقال لهم رسول الله ﷺ : إنّى سائلكم عن شىء ، فهل أنتم صادقونى عنه ؟

فقالوا : نعم يا أبا القاسم : فقال لهم رسولُ الله ﷺ : مَن أبوكم؟ قالوا : أبونا فلان . فقال رسول الله ﷺ : كذبتم بل أبوكم فلان . فقالوا : صَدَقْتَ وبَرَرْتَ . فقال : هل أنتم صادقوني عن شىءٍ إن سألتكم عنه؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا . فقال لهم

---

(١) رواه البخارى (٢٦١٧) ، ومسلم (٢١٩٠) ، وأبو داود (٤٥٠٨) .

(٢) راجع : « لسان العرب / لها » .

(٣) وراجع لتآمر اليهود على سم النبى ﷺ : طبقات ابن سعد (٢ / ١٥٤) ، وسنن أبى داود (٤ / ١٧١ ـ ١٧٤) (٤٥٠٨ / فما بعد) ودلائل النبوة للبيهقى (٤/ ٢٥٦ ـ فما بعد) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٤ / ٢٠٩ ـ فما بعد) ، وفتح البارى (٧ / ٥٦٩ ، ٧٣٧) (١٠ / ٢٥٥) ، وغير ذلك من كتب السِّيَر وغيرها . والله أعلم .

رسول الله ﷺ : من أهلُ النار؟ فقالوا : نكونُ فيها يسيراً ثم تَخْلُفُوننا فيها . فقال لهم رسول الله ﷺ : « اخْسَئُوا فيها ، والله لا نَخْلُفُكم فيها أبداً . ثم قال لهم : هل أنتم صادقونى عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا : نعم . فقال: هل جَعلتم فى هذه الشاة سُمّاً [1]؟ فقالوا : نعم . قال : ما حَمَلكم على ذلك؟ فقالوا : أَرَدْنَا إنَ كُنْتَ كاذباً نستريحُ منك ، وإن كنتَ نبياً لم يَضُرَّكَ » [2] .

وقال يونس عن الزهرى قال عروة قالت عائشة رضى الله عنها : « كان النبى ﷺ يقول فى مرضه الذى مات فيه : يا عائشة ، ما أزالُ أجدُ ألم الطعام الذى أكَلْتُ بخيبر ، فهذا أوان وجدتُ انقطاع أَبْهرى [3] من ذلك السُّمّ » [4].

قال الزهرى رحمه الله : فتوفِّى رسول الله ﷺ شهيداً ، وقال ابن إسحاق : « إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة » .

وكشف رئيس تحرير «المجلة العربية» [5] عن مخطوطة أرمنية قديمة تثبت أن المؤامرة لسم النبى ﷺ كانت بقرارٍ من رؤساء اليهود .

تقول الوثيقة : « يقال : إن الأمة اليهودية تحسد أمة النصارى ، ولما جاء محمد وعظم أمره اجتمع رؤساء اليهود وقالوا فى أنفسهم لنضمه إلينا ، بأن نزوده بأحكام ديننا فينشرها بين الناس وبذلك نتغلّب على النصارى وأناجيلهم .

ولكن المسلمين الذين انتصروا على أعدائهم وفتحوا الفتوحات العظيمة

---

(١) فى هذا أن الواقعة كانت عملاً جماعياً لليهود ، وليس من أفراد امرأة منهم من دونهم ، بل اشتركوا جميعاً فى هذه المؤامرة .

(٢) رواه البخارى (٥٧٧٧) ، والبيهقى فى «الدلائل» (٤ / ٢٥٦) .

(٣) عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه . «الفتح» (٧ / ٧٣٧) .

(٤) هكذا ذكره البخارى معلقاً (٤٤٢٨) بصيغة الجزم ، وراجع : فتح البارى (٧ / ٧٣٧) .

(٥) العدد الثالث / السنة الثالثة . من حاشية «دلائل البيهقى» (٤ / ٢٥٨) .

لم يكترثوا لليهود ولم يقيموا لهم وزناً ، بل اضطروا أحياناً إلى قتالهم . فعاد رؤساء اليهود إلى الاجتماع والتفكير فى أسلوب يتخلصون به من محمد ... فاختاروا من نسائهم فتاة جميلة ، وقالوا لها : يجب عليك أن تدعى محمداً إلى وليمة وتقتليه . ففعلت المرأة ما أمرها الرؤساء به » .

ما جاء فى إشارته ﷺ إلى عائشة رضى الله عنها فى ابتداء مرضه بما يشبه النَّعْى ، ثم إخباره إياها بحضور أجله وما فى حديثها من أنَّهُ ﷺ تُوفِّى شهيداً.

هكذا ترجم الإمام البيهقى رحمه الله تعالى فى : « **دلائل النبوة** » [1] ثم أورد حديث عائشة رضى الله عنها قالت : وا رأساه . فقال رسولُ الله ﷺ : ذاكَ لو كان وأنا حيٌّ فأستغفرَ لك ، وأدعو لك . فقالت عائشة : وا ثُكلياه ! والله إنِّى لأظُنُّكَ تحبُّ موتِى ، ولو كان ذاكَ لظَلَلْتَ آخرَ يومك مُعرساً ببعض أزواجكَ . فقال رسولُ الله ﷺ : بل أنا وا رأساهُ ، لقد هممتُ ، أو أردتُ أن أُرْسِلَ إلى أبى بكرٍ ، وابنه ، فأعهد [2] ، أن يقول القائلون أو يتمنَّى المتمنُّون ، فقلتُ : يأبى الله ، ويدفعُ المؤمنون . أو يدفع الله ويأبى المؤمنون » .

وعزاه البيهقى رحمه الله للبخارى فى « **الصحيح** » [3] ، ثم أورد البيهقى رواية أخرى لهذا الحديث ثم أورد حديث عائشة رضى الله عنها : كان النبى ﷺ يقول فى مرضه ـ الذى توفِّى فيه ـ : « **يا عائشة لم أزل أجد ألم الطعام الذى أكَلْتُ بخيبر ، فهذا أوان انقطاع أبْهَرى من ذلك السُّم** » . وعزاه البيهقى للبخارى فى « **الصحيح** » [4] مُعَلَّقاً ، ثم ختم البيهقى هذا الباب

---

(١) دلائل النبوة (٧ / ١٦٨) .

(٢) فى جمعه ﷺ بين شكواه للمرض وبين هَمِّه بالعهد لأبى بكر فى سياق واحد إشارة إلى اقتراب أجله ﷺ فكان هذا نعياً منه لعائشة رضى الله عنها ينعى إليها نفسه ﷺ ، وهذا الذى أشار إليه البيهقى رحمه الله فى صدر ترجمته . والله أعلم .

(٣) رواه البخارى (٥٦٦٦) .

(٤) رواه البخارى معلَّقاً مجزوماً (٤٤٢٨) ، وراجع : فتح البارى (٧ / ٧٣٧) .

يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : لئن أَحْلفُ تسْعاً أنّ رسول الله ﷺ قُتـلَ قتلاً أحب إليّ من أن أَحْلفَ واحدةً أنّـهُ لَم يُـقْـتَلْ . وذلك أنّ الله عز وجل اتّـخَـذَهُ نبيّـاً ، واتّـخَـذَهُ شهيداً (1) .

ذِكْر عِظَم المصيبة التى حلَّت بالمسلمين لوفاة رسول الله ﷺ

عن عائشة رضى الله عنها (2) : « أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكرٍ بالسُّنحِ ـ قال إسماعيل بن أبى أويس : يعنى بالعالية ـ فقام عمرُ يقولُ : والله ما مات رسولُ الله ﷺ . قالت : وقال عمرُ : والله ما كان يقعُ فى نفسى إلاّ ذاك ـ يعنى: عدم موته ﷺ حينئذٍ ـ وليبعثَـنَّـهُ الله فليُقطِّعنَّ أيدى رجالٍ وأرجُلَهم» .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : لمّا تُوفِّى رسول الله ﷺ بكى الناسُ فقام عُمر بن الخطاب فى المسجد خطيباً فقال : لا أسمعنَّ أحداً يقول : إنَّ محمداً قد مات ، ولكنه أُرْسِلَ إليه كما أُرْسِلَ إلى موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة ، والله إنِّى لأرجو أن يقطع أيدى رجالٍ وأرجُلَهم يزعمون أنه مات (3) .

قالت عائشة رضى الله عنها (4) : فجاء أبو بكرٍ فكشفَ عن رسول الله ﷺ فقبَّلَهُ فقال : بأبى أنتَ وأُمى ، طِبْتَ حَيّاً وميّتاً .... ثم خرجَ فقال : أيها الحالفُ على رِسْلِكَ ـ أى : تَمَهَّل ـ فلمَّا تكلم أبو بكرٍ جلس عمرُ . فحمد الله أبو بكرٍ وأثنى عليه وقال : ألاَ مَن كان يعبدُ محمداً ﷺ فإنَّ محمداً قد ماتَ ، ومَن كان يعبدُ الله فإنَّ الله حَىٌّ لا يموتُ . وقال [الزمر : 30] :

(1) راجع : الفصل السابق « سبب الوفاة » .
(2) رواه البخارى (3677/وغير موضع) .
(3) رواه ابن سعد (2/204) ، وإسناده صحيح .
(4) فى حديثها المشار إليه آنفاً .

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ . وقال [آل عمران : ١٤٤] : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

قال : (فَنشجَ الناسُ يبكون) . أ.هـ .

والنشيج : صوتٌ معه توجُّعٌ وبكاءٌ كما يُردِّدُ الصبيُّ بكاءه ونحيبه فى صدره . انتهى من «لسان العرب» لابن منظور . مادة «نشج» .

وعن ابن عباسٍ رضى الله عنهما : « أنَّ أبا بكرٍ رضى الله عنه خَرج وعمرُ رضى الله عنه يُكلِّم الناس ، فقال : اجلس ، فأبى . فقال : اجلس ، فأبى : فتشهَّدَ أبو بكر رضى الله عنه ، فمالَ إليه الناسُ وتركوا عُمرَ ، فقال : أمَّا بَعْدُ فَمَن كان منكم يعبدُ محمداً ﷺ فإنَّ محمداً ﷺ قد مات ، ومَن كان يعبُدُ اللهَ فإنَّ الله حَيٌّ لا يموت ، قال اللهُ تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

فواللهِ لكأنَّ الناسَ لم يكونوا يَعلَمون أنَّ اللهَ أنزلَ الآية حتَّى تَلاَها أبو بكرٍ رضى اللهُ عنه ، فتلقَّاها منه الناسُ ، فما يُسْمَعُ بَشَرٌ إلاَّ يَتْلُوها » .

هكذا رواه البخارى رحمه الله [1] فى «الجنائز» من «صحيحه» وزاد فى «المغازى» (٤٤٥٤) عن الزهرى قال : فأخبرنى سعيد بن المسيب أن عُمر قال : والله ما هو إلاَّ أنْ سمعتُ أبا بكر تلاها فَعَقِرتُ [2] حتى ما تُقلُّنى رِجْلاى ، وحتى أهويتُ إلى الأرضِ حين سمعتهُ تلاها ، علمت أنَّ النبى ﷺ قد مات » .

قالت عائشة رضى الله عنها : فما كان من خطبتهما ـ يعنى عُمر ثم

---

(١) صحيح البخارى (١٢٤١ ، ١٢٤٢) (٤٤٥٤ / وغير موضع) .

(٢) بضم العين المهملة وكسر القاف : أى هلكت ، وفى رواية : بفتح العين ، أى : دهشت وتحيرت . ويقال : سقطت . راجع «فتح البارى» (٧٥٣/٧) .

أبا بكرٍ – من خطبةٍ إلا نفع الله بها ، لقد خوّف عمرُ الناس وإن فيهم لنفاقاً فردَّهم الله بذلك . ثم لقد بصَّرَ أبو بكر الناسَ الهدى ، وعرَّفهم الحقَّ الذى عليهم وخرجوا به يتلونَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

هذا ، ولمَّا كان الغد من موت رسول الله ﷺ جلس عُمر على المنبر فتشهَّدَ وأبو بكر صامتٌ لا يتكلَّم قال : كنتُ أرجو أن يَعيشَ رسولُ الله ﷺ حتى يَدْبرنا – يريد بذلك أن يكونَ آخرَهم ، فإن يكُ محمد ﷺ قد مات : فإنَّ الله تعالى قد جعلَ بينَ أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً ﷺ ، وإنَّ أبا بكرٍ صاحب رسول الله ﷺ ثانى اثنين ، فإنَّهُ أولى الناس بأموركم ، فقوموا فبايعوه . ولم يزل عمر رضى الله عنه بأبى بكرٍ حتى صعدَ المنبرَ فبايعَهُ الناس عامة (٢) .

وفى رواية عن عمر رضى الله عنه أنه قال فى خطبته هذه : فإنِّى قلتُ لكم أمس مقالةً لم تكُنْ كما قلْتُ ، وإنى والله ما وجدتها فى كتابٍ أنزله الله ، ولا فى عهدٍ عَهِدَهُ إلىَّ رسولُ الله ﷺ ولكنى كنتُ أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يَدْبُرَنا – يقول : حتى يكونَ آخرَنا – فاختار الله جلَّ وعلا لرسوله ﷺ الذى عنده على الذى عندكم ، وهذا كتابُ الله هدىَ اللهُ به رسوله ﷺ ، فخذُوا به تَهْتَدُوا بما هَدَى الله به رسولَهُ ﷺ (٣) .

وهذا الذى سبق ذكره يُبيِّن لك عظَم البليَّة على المسلمين ، وقد قال أنس ابن مالك رضى الله عنه وذكر النبى ﷺ قال : « شهدته يوم دخل المدينة فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ

(١) رواه البخارى (٣٦٦٩) (٣٦٧٠) .
(٢) رواه البخارى (٧٢١٩) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .
(٣) رواه عبد الرزاق (٩٧٥٦) وابن سعد (٢/٢٠٧) وابن حبان (٦٦٢٠) و (٦٨٧٥) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه وإسناده صحيح .

وشهدته يوم موته ، فما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ» [1] .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه بلفظ : «لما كان اليوم الذى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، أضاء منها كل شىء ، ولما كان اليوم الذى مات فيه ﷺ أظلم منها كل شىء ، وإنا لفى دفنه ، ما رفعنا أيدينا عن دفنه ، حتى أنكرنا قلوبنا» [2] . واللفظ الأول هو الصحيح عن أنس رضى الله عنه .

اختيار الخليفة قبل دفن الجسد الشريف

سبق فى أصل هذا الكتاب أن الصحابة رضوان الله عليهم تركوا الجسد الشريف حتى تمّت البيعة لأبى بكر رضى الله عنه فى سقيفة بنى ساعدة يوم الاثنين الذى توفّى فيه رسول الله ﷺ ، ودُفِنَ ﷺ مَن الغَد يعنى : الثلاثاء ، وفيه بايع العامة لأبى بكرٍ على المنبر ، وقد استدلَّ العلماء بصنيع الصحابة رضوان الله عليهم المشار إليه على وجوب الخلافة العامة ، وكونها من أساسيات الشريعة وحكى الإجماع على وجوبها غيرُ واحدٍ . وقال ابن حجر الهيتمى : اعلم أيضاً أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب ، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ .

إذ الدين والأمن على الأنفس والأموال لا ينتظم إلاّ بسلطان مطاع كما قال

---

(١) رواه الدارمى (٤١/١) حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس به وإسناده صحيح ، ورواه الحاكم (٥٧/٣) من طريق حماد بن سلمة به مختصراً على يوم الوفاة ، وصحّحه على شرط مسلم ومن طريق الحاكم رواه البيهقى فى «الدلائل» (٢٦٥/٧ ، ٢٦٦) .

(٢) رواه ابن سعد (٢١٠/٢) ، والبيهقى فى «الدلائل» (٢٦٥/٧) من طريق جعفر بن سليمان الضُّبعى عن ثابتٍ عن أنس به ، والسياق للبيهقى فى إحدى روايتيه . ولا يصح إسناده . جعفر متكلم فى روايته عن ثابت . والله أعلم .

الغزالى ، وقال : ولأن ذلك لو دام ولم يتدارك بنصب سلطان آخر مطاع دام الهرج ، وعم السيف ، وشمل القحط ، وهلكت المواشى وعُطِّلت الصناعات ، وكان كل من غلب سلب ، ولم يتفرّغ للعبادة والعلم إن بقى حيّاً ، والأكثرون يهلكون تحت ظلال السيوف ، لهذا قيل : « الدين أس ، والسلطان حارس ، وما لا أس له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع » [1] .

وهذا الفعل من الصحابة يدلُّ على عظيم فقههم ودقة فهمهم إذ لو تُرِكَ الأمر فارغاً من سلطان يقود الناس ويردعهم ، ويرجعهم إلى حظيرة السنة لعُطِّلت صوامع وبيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذْكَر فيها اسم الله ، ولضاعت البلاد والعباد ، وكثر التهارج والتشرذم ، يقضى على ذلك كله : نصب سلطان رادع يزع الله به مَن لم تَرْدعه الآيات والنذر .

ذِكْر اليوم الذى تُوفِّى فيه رسول الله ﷺ

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « دَخَلْتُ على أبى بكرٍ - رضى الله عنه فقال : في كمْ كفَّنتُم النبىَّ ﷺ ؟ قالت : فى ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ سَحوليَّةٍ لَيْسَ فيها قميص ولا عمامة .

وقال لها : فى أىِّ يومٍ تُوُفِّىَ رسول الله ﷺ ؟ قالت : يوم الاثنين .

قال : فأىُّ يومٍ هذا؟

قالت : يومُ الاثنين .

قال : أرجو فيما بينى وبين الليل [2] . فنظر إلى ثوب عليه كان يُمَرَّضُ

(١) الوجيز فى فقه الخلافة ـ لصلاح الصاوى ـ (ص / ١٦ ـ ٢٤) ، وراجع : أبواب الخلافة من الأصل .

(٢) يعنى : أنه رضى الله عنه كان يتمنّى أن يموت يوم الاثنين كما مات رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، وقد عقد البخارى رحمه الله فى كتاب الجنائز (٢٩٧/٣) باباً بعنوان : «باب موت يوم الاثنين» .

فيـه ، به رَدْعٌ [١] من زَعْفـران فـقـال : اغـسلُوا ثوبى هذا وزيدُوا عليـه ثوبين فَكفِّنونى فيهـما . قلتُ : إنَّ هذا خَلَق [٢] قـال : إنَّ الحىَّ أحقُّ بالجـديد من الميت ، إنما هو للمُـهْملَـة [٣] . فلم يُـتَـوفَّ حتى أمسى من ليلة الثلاثاء ، ودُفِنَ قبلَ أن يُصْبِحَ » [٤] .

وعن أنس بن مـالك رضى الله عنه : « أن المسلمين بينا هـم فى الفـجـر يوم الاثنين وأبو بكر رضى الله عنه يصلى بهم . ففجأَهُم النبى ﷺ قد كـشف سِتْرَ حجرة عائشة رضى الله عنهـا ، فنظَرَ إليـهم وهم صفوفٌ ، فتبسَّم يَضْحَكُ فنكَصَ أبو بكرٍ رضى الله عنه على عَقِبَيْه وظنَّ أنَّ رسول الله ﷺ يُريدُ أن يخرُجَ إلى الصلاة ، وهَمَّ المسلمون أن يفتتنُوا فى صلاتهم فرحاً بالنبىِّ ﷺ حينَ رأوه . فأشار بيده أن أتمُّوا . ثمَّ دخلَ الحجرة وأَرْخَى السِّتْر . وتوفِّى ذلك اليوم [٥] .

* وفى لفظٍ عن أنسٍ رضى الله عنه قـال : «لم يخـرج النبى ﷺ ثلاثاً ، فأُقيمت الصلاةُ ، فذهب أبو بكرٍ يتقدَّمُ ، فقام نبى الله ﷺ بالحجاب فرفعه ، فلمـا وضَحَ وجهُ النبى ﷺ ما نظرنا منظراً كان أعجبَ إلينا من وجه النبى ﷺ حينَ وَضَحَ لنا . فأومأ النبىُّ ﷺ بيده إلى أبى بكرٍ أن يتقدم ، وأَرْخَى النبىُّ ﷺ الحجابَ فلم يُقْدَرْ عليه حتى مات» [٦] .

وقـد سبق فى «بَدْء الوحى» حـديث النبى ﷺ وسُئل عن صـوم يوم الاثنين

---

(١) قال ابن حجر (٢٩٨/٣) : أى لطخ لم يعمه كله .

(٢) يعنى : قديم غير جديد ، وهو بفتح الخاء المعجمة واللام . وراجع : «فتح البارى» (٢٩٨/٣) .

(٣) كذا فى متن الصحيح وفى شرحه «فتح البارى» : للمهلَة بالضم : عكر الزيت والمراد هنا الصّديد وقيل بالفتح من التمهّل . قال ابن حجر : والأول أظهر .

(٤) رواه البخارى (١٣٨٧) ، وهو فى المسند لأحمد (٤٥/٦) وغير ذلك مطولاً ومختصراً عن عائشة رضى الله عنها به .

(٥) رواه البخارى (١٢٠٥) من طريق يونس قال الزهرى : أخبرنى أنس بن مالك به ، و(٦٨٠) من طريق شعيب ، و(٧٥٤) (٤٤٤٨) من طريق عقيل كلاهما عن ابن شهاب به ، والسياق لرواية يونس وراجع : الأصل .

(٦) رواه البخارى (٦٨١) من طريق عبد العزيز عن أنس به . وهو عند مسلم (٤١٩) .

فقال : «ذاك يومٌ ولدتُ فيه ، ويومٌ بُعثْتُ فيه» (١) .

وقد شاء سبحانه أن تأتيه المنية يوم الاثنين أيضاً ، وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند الإمام مسلم فى **« صحيحه »** (٨٥٤) قال رسول الله ﷺ : « خير يومٍ طَلَعَتْ عليه الشمس يوم الجمعة . فيه خُلِقَ آدم . وفيه أُدْخِلَ الجنة . وفيه أُخْرِجَ منها » . فلاحظ وتدبَّر!!

قال أبو جعفر الطبرى رحمه الله : أما اليوم الذى مات فيه رسول الله ﷺ ؛ فلا خلاف بين أهل العلم بالأخبار فى أنه كان يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، غير أنه اختُلفَ فى أىِّ الأثانين كان موته ﷺ » (٢) ا . هـ . وقال ابن عبد البر فى الاستذكار (٢٨٨/٨) : « وأما قول مالك أنه ﷺ تُوفِّى يوم الاثنين فهذا مما لا خلاف فيه » .

وقال ابن كثير رحمه الله : « لا خلاف أنه عليه السلام تُوفِّى يوم الاثنين » (٣) .

وقال ابن حجر : وكانت وفاته يوم الاثنين ـ بلا خلاف ـ من ربيع الأول وكاد يكون إجماعاً» (٤) .

قلت : أما الاثنين فلا خلاف فى كونه هو اليوم الذى تُوفِّى فيه رسول الله ﷺ وقد مضى الحديث بذلك عن عائشة رضى الله عنها وهى أعلم به ، وكيف لا وقد مات ﷺ فى حجْرها رضى الله عنها؟ وقد تابعها أنس رضى الله عنه وحكاه ابن سعد رحمه الله (٥) عن عكرمة وابن شهاب ذكروا جميعاً أن رسول

---

(١) على شرط مسلم ، وقد رواه مسلم وغيره ، وسبق تخريجه فى كتاب «بدء الوحى» فراجعه ثَـمَّ وهو مطبوع بمكتبة الإيمان / المنصورة .

(٢) تاريخ الملوك والأمم لأبى جعفر الطبرى (٢٣٢/٢ ـ ط : دار الكتب العلمية) .

(٣) البداية والنهاية (٢٢٣/٥) .

(٤) فتح البارى (٧٣٦/٧ ـ ط : الريان) .

(٥) طبقات ابن سعد (٢٠٩/٢ ، ٢١٠) وإسنادهما صحيح وورد نحوه عن ابن سعد عن ابن المسيب وغيره ، وفى الأسانيد إليهم ضعف لذلك تنكّبْتُ عن ذكر ذلك فى هذا الكتاب والله الموفق .

الله ﷺ تُوفِّى يوم الاثنين ، وزاد عكرمة : أنه دُفِنَ من الغدِ بالليل يعنى : الثلاثاء ليلاً .

وهذا قولُ أهل السِّير قالوا : توفِّى رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، لا خلاف بينهم فى ذلك . وأما تحديد ذلك بأنه فى ربيع الأول فلم أر لهم قولاً آخر سواه، وإن اختلفوا فى أىِّ الأثانين من ربيع الأول كان ذلك . فقيل : يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول وهذا قول أبى مخنف ، قال ابن حجر : فالمعتمد ما قال أبو مخنف .

وقيل : لاثنتى عشرة خلت ، وهذا اختيار ابن إسحاق وابن الجوزى وغيرهما، واستشكله السُّهيلى ، ووهَّم ابن حجر القائلين به [1] .

ولم أهتد – رغم كثرة التفتيش – إلى ما يقطع العذر ويمنع التشاغب فى تحديد شهر الوفاة النبوية . وأعلى ما ورد فى ذلك آراء لأهل السِّير أمثال سليمان التيمى والواقدى ، وكذلك ابن إسحاق وعروة وموسى بن عقبة وغيرهم من أهل السِّير والأخبار .

سنُّ رسُولِ الله ﷺ عِنْدَ وَفَاتِه

قُبِضَ النبىُّ ﷺ إلى ربِّه وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين سنة ، على هذا أكثر أهل العلم سلفاً وخلفاً بل حكاه الشيخ أحمد فريد حفظه الله إجماعاً قلت وهو مذهب عائشة وابن عباس – فى الصحيح عنه وأنس بن مالك – فى إحدى الروايتين عنه – ومعاوية رضى الله عنهم جميعاً ، وقال به من التابعين جماعة منهم : ابن المسيب ، والشعبى ، وعبد الله بن عتبة ، وأبو جعفر محمد بن

(١) راجع : تاريخ الطبرى (٢٣٢/٢) ، طبقات ابن سعد (٢٠٨/٢–٢١٠) ، «دلائل النبوة» للبيهقى (٢٣٣/٧–٢٣٥) ، «المنتظم» لابن الجوزى (٤٠/٤) ، «البداية والنهاية» لابن كثير (٢٢٣/٥–٢٢٥) ، «فتح البارى» لابن حجر (٧٣٦/٧) .

على ، والحسن البصرى فى آخرين ، وهو الذى صححه الإمام أحمد والبخارى وابن سعد والبيهقى وابن الجوزى وابن كثير وغيرهم رحمة الله عليهم جميعاً .

وقد فصَّلْتُ القول فى ذلك فى أصل هذا المختصر فارجع إليه . والله الموفق .

ذكر الثياب التى مات فيها رسول الله ﷺ

عن أبى بُرْدة [1] رحمه الله قال : دخلتُ على عائشة رضي الله عنها فأخرجت إلينا إزاراً غليظًا مما يُصْنَعُ باليمن . وكساءً من التى يسمُّونها المُلَبَّدة [2] قال : فأقسمَتْ بالله ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قُبِضَ فى هذين الثوبين [3] .

صفة غُسْله ﷺ

ثبت عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لما أرادوا غسل الرسول ﷺ قالوا: والله ما ندرى أنُجَرِّدُ رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرِّد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وَذَقْنُهُ فى صدره، ثم كلّمهُمْ مُكَلِّمٌ من ناحية البيت العتيق لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبى ﷺ وعليه ثيابه ، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه يصبُّون الماء فوق القميص ويدلُكُونه بالقميص دون أيديهم ، وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : لو استقبلْتُ من أمرى ما استدبرتُ ما غسَّلَهُ إلاَّ نساؤه » [4]. ا.هـ .

---

(١) هو ابن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

(٢) أى : المرقَّعة .

(٣) رواه البخارى (٣١٠٨) ، ومسلم (٢٠٨٠) ، والسياق لمسلم .

(٤) صححه الحاكم والبيهقى وغيرهما . وقد رواه أحمد (٦ / ٢٦٧) ، وأبو داود (٣١٤١) ـ واللفظ له ـ ، وابن حبان (٦٦٢٧) (٦٦٢٨) ، وغيرهم من طريق ابن إسحاق حدثنى يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير قال : سمعت عائشة تقول ... به . قال البيهقى رحمه الله فى=

صفة كفنه ﷺ

عن عائشة رضى الله عنها : « أنَّ رسولَ الله ﷺ كُفِّن فى ثلاثة أثواب يمانية بيضٍ سَحولية مِن كُرْسُفٍ لَيْسَ فيهنَّ قميصٌ ولا عمامَةٌ »

هكذا رواه الإمام البخارى رحمه الله [١] ، ورواه مسلم [٢] عن عائشة قالت: كُفِّن رسول الله ﷺ فى ثلاثة أثواب بيضٍ سَحُوليَّة من كُرْسُفٍ ، ليس فيها قميص ولا عِمامةٌ . أما الحُلَّةُ فإنَّما شُبِّه على النَّاس فيها ، أنَّها اشتريَتْ له ليُكَفَّنَ فيها فتُركَت الحُلَّةُ . وكُفِّنَ فى ثلاثة أثواب بيضٍ سَحُوليَّة فأخَذَهَا عبد الله بن أبى بكر فقال : لأَحْبِسَنَّها حتى أُكَفَّن فيها نَفْسى . ثمَّ قال : لو رَضِيَها الله عز وجل لنَبيِّهِ لكَفَّنَهُ فيها . فباعَهَا وتصدَّق بثمنها » .

وفى لفظ آخر لمسلم رحمه الله عن عائشة قالت : أُدْرِجَ رسول الله ﷺ فى حُلَّة يمنيَّة كانت لعبد الله بن أبى بكر . ثمَّ نُزِعَتْ عنه . وكُفِّنَ فى ثلاثة أثواب سُحُولٍ [٣] يمانية . ليس فيها عمامة ولا قميصٌ . فرفَعَ عبد الله الحُلَّةَ فقال : أُكَفَّنُ فيها ـ ثمَّ قال : لَمْ يُكفَّنْ فيها رسول الله ﷺ وأُكَفَّنُ فيها! فتصدَّق بها » .

= دلائل النبوة (٧/ ٢٤٢) : « هذا إسناد صحيح » . ومن قبل قال الحاكم (٣ / ٥٩ ، ٦٠) : « صحيح على شرط مسلم » . ورجاله ثقات لولا الخلاف فى ابن إسحاق رحمه الله . وقد ورد هذا المعنى من رواية غير عائشة أيضاً ، وكذلك من كلام ابن شهاب وغيره من التابعين كما تراه عند ابن سعد فى الطبقات (٢ / ٢١١ ـ فما بعد) ، والبيهقى فى الدلائل (٧ / ٢٤٢ ، ٢٤٣) ، وابن كثير فى « البداية والنهاية » (٥ / ٢٢٨ ، ٢٢٩) ، وغيرهم :

(١) رواه البخارى (١٢٦٤ / وغير موضع) وغيره .

(٢) رواه مسلم (٩٤١) ، وابن سعد (٢ / ٢١٥) .

(٣) السُّحول بضم السين والحاء المهملتين وآخره لام : جمع سَحْل وهو الثوبُ الأبيضِ النقىّ ، ولا يكون إلاَّ من قطنٍ . ويروى بفتح السين المهملة نسبة إلى القصَّار ؛ لأنَّه يَسْحَلُها أى : يغسلها ، أو نسبة إلى سَحولٍ قريةٍ باليمن . راجع : لسان العرب (م / سحل) . والكُرسُف : القطنَ .

ذِكْرُ الصلاة عليه ﷺ

قال ابن شهاب الزهرى رحمه الله : « وُضِع رسول الله ﷺ على سرير فجعَل المسلمون يدخلون أفواجاً فيُصَلُّون عليه ويُسلِّمون لا يؤُمُّهم أحدٌ » (١) .

وقد وردت صلاة الناس على رسول الله ﷺ أفواجاً أفواجاً : الرجال فالنساء فالصبيان ثم العبيد فى بعض الموقوفات والمقطوعات والبلاغات وروى ذلك مرفوعاً فى حديثٍ لابن مسعود ، ولا يصحُّ من ذلك كُلِّه شيء لذلك تنكبتُ عن إيراد شيء من ذلك فى كتابى هذا (٢) .

وفى «التمهيد» لابن عبد البر (٢٤ / ٣٩٧) قال رحمه الله : « وأما صلاة الناس عليه أفذاذاً ، فمجتمع عليه عند أهل السِّير جماعة أهل النَّقْل لا يختلفون فيه » .

وقال ابن كثير رحمه الله (٣) : « وهذا الصنيع ، وهو صلاتهم عليه فُرادى لم يؤمهم أحد عليه أمرٌ مجمعٌ عليه لا خلاف فيه ، وقد اختلف فى تعليله ... إلخ» .

ذِكْرُ دَفْنِه ﷺ

اختُلفَ فى وقت الدفن للجسد النبوى الشريف على قولين حكاهما ابن عبد البر وغيره ؛ الأول : أنه دُفِنَ يوم الثلاثاء ، والثانى : أنه دُفِنَ ليلة الأربعاء. ورجَّح ابن كثير رحمه الله الثانى منهما قال : وهو الذى نصَّ عليه غيرُ واحدٍ

---

(١) رواه ابن سعد (٢ / ٢٢١) بإسناد صحيح عن الزهرى رحمه الله .

(٢) راجع : طبقات ابن سعد (٢ / ٢٢٠ _ ٢٢٣) ، دلائل النبوة للبيهقى (٧ / ٢٥٠ ، ٢٥١) ، البداية والنهاية لابن كثير (٥ / ٢٣١ _ ٢٣٣) .

(٣) البداية والنهاية (٥ / ٢٣٢ ، ٢٣٣) .

من الأئمة سلفاً وخلفاً ؛ منهم : سليمان بن طرخان التيمى ، وجعفر بن محمد الصادق ، وابن إسحاق ، وموسى بن عُقْبة وغيرهم ا . هـ. والأمر سهل والجمع ممكنٌ . والله أعلم .

ذِكْرُ ما قالته فاطمة رضى الله عنها بعد دفن النبى ﷺ

عن أنس رضى الله عنه قال : « لما ثَقُلَ النبى ﷺ [1] جعلَ يتغشَّاهُ [2] ، فقالت فاطمة رضى الله عنها : وا كربَ أباه [3] ، فقال لها : ليس على أبيك كربٌ بعدَ اليوم . فلما مات قالت : يا أبتاهُ أجاب ربّاً دَعاه ، يا أبتاهُ مَن [4] جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلي جبريل ننعاه . فلما دُفِنَ قالت فاطمة رضى الله عنها : يا أنسُ أطابَتْ نفوسكم أن تحثُوا على رسولَ الله ﷺ الترابَ » [5] .

قال ابن حجر رحمه الله [6] : أشارت عليها السلام بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك لأنه يدل على خلاف ما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه لشدة محبتهم له ، وسكت أنس عن جوابها رعايةً لها ولسان حاله يقول : لم تطب أنفسنا بذلك ، إلاّ أنا قهرناها على فعله امتثالاً لأمره » ا. هـ .

---

(١) أى : اشتدّ مرضه .

(٢) غُشىَ عليه : أى أُغمى عليه ، وهو المراد هنا .

(٣) هذا القول من فاطمة رضى الله عنها لا يدخل فى النياحة والندب الذى تفعله نساء العصر عند وفاة بعض الأشخاص ، وعدم نهى النبى ﷺ لها عن هذا القول يدلُّ على ذلك لأنه ﷺ نهى عن النياحةَ وغيرها من أعمال الجاهلية . وقد استدلّ ابن حجر فى «فتح البارى» (٧ / ٧٥٦) بجواب النبى ﷺ لابنته : «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» (على أنها لم ترفع صوتها بذلك وإلا لكان ينهاها) . وسيأتى نحو هذا المعنى عن ابن حجر . والله أعلم .

(٤) بفتح الميم على أنها موصولة «الفتح» .

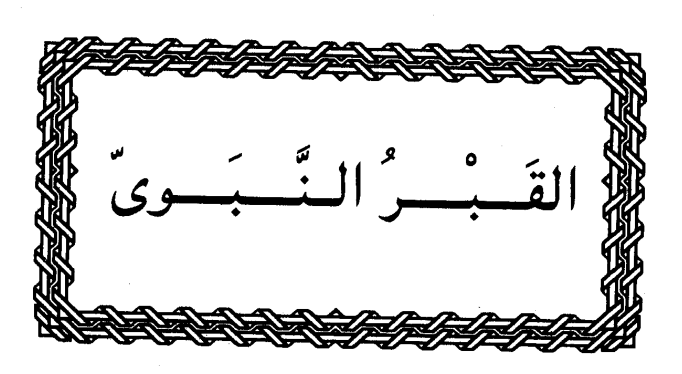
(٥) رواه البخارى (٤٤٦٢) ، وغيره .

(٦) فتح البارى (٧ / ٧٥٦) .

قال ابن حجر : « ويستفاد من الحديث جواز التوجُّع للميت عند احتضاره بمثل قول فاطمة عليها السلام : « وا كَرب أباه » وأنه ليس من النياحة ، لأنه ﷺ أقرها على ذلك . وأما قولها بعد أن قُبِض : « وا أبتاه إلخ » .

فيؤخذ منه أن تلك الألفاظ إذا كان الميتُ متصفاً بها لا يمنع ذكره لها بعد موته ، بخلاف ما إذا كانت فيه ظاهراً وهو فى الباطن بخلافه أو لا يتحقق اتصافه بها فيدخل فى المنع » ا. هـ .

هذا وقد روى الدارمى (١ / ٤٠ ، ٤١) حديث أنس السابق ذكره عن طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس وفى آخره : « قال حماد : حين حدث ثابت بكى . وقال ثابت : حين حدث به أنس بكى » . وأنا أقول : حق للجميع البكاء . والله يتولانا ويحشرنا مع نبينا ﷺ .



القَــبْــرُ الـنَّـــبَــوىّ

موضع قبره ﷺ

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « إنْ كان رسولُ الله ﷺ ليتعذَّرُ [1] فى مرضه : أينَ أنا اليوم ، أينَ أنا غداً؟ استبطاءً ليوم عائشة . فلمَّا كان يومى قَبَضَهُ الله بَيْنَ سَحْرِى ونَحْرِى [2] ، ودُفِنَ فى بيتى » [3] .

ولا خلاف في أن النبيَّ ﷺ دُفِنَ فى حجرة عائشة رضى الله عنها ، ودُفِنَ معه أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما ، وهذا الحديث صريح فى كون القبر النبوى لم يكن فى مسجد رسول الله أول الأمر ، ومن ثَمَّ فلا حُجَّة فيه للقائلين بجواز الصلاة فى المساجد التى بنيت على القبور كمساجد البدوى والدسوقى وغيرهما من مساجد أرباب التَّصوف المقيت ، وقد حقّق ذلك وجلاَّه العلامة الألبانى حفظه الله فى كتابه القيم :

« تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد » فليُرْجَعْ إليه .

وفى الاستذكار لابن عبد البر رحمه الله قال : ولا خلاف بين العلماء أنَّ رسول الله ﷺ دُفِنَ فى الموضع الذى مات فيه من بيته بيت عائشة رضى الله عنها ، ثُمَّ أُدْخِلَتْ بيوتُه المعروفة لأزواجه بعد موته فى مسجده ، فصار قبرُه فى المسجد » [4] ا . هـ .

---

(١) أى : يتمنّع ، وحكى ابن التين أنه فى رواية القابسى بالقاف والدال المهملة : أى : يسأل عن قدر ما بقى إلى يومها . قاله ابن حجر (٣ / ٣٠٢) .

(٢) تقدم تفسير ذلك .

(٣) رواه البخارى (١٣٨٩) .

(٤) الاستذكار لابن عبد البر (٨ / ٢٨٧ ، ٢٨٨) .

ذِكْرُ العِلَّةِ التى مِن أجلها لم يبرز قبره ﷺ

سبق [1] عن عائشة رضى الله عنها أن قالت : قال رسول الله ﷺ فى مرضه الذى لم يَقُم منه : « لعنَ الله اليهودَ والنصارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد . قالت عائشة : لولا ذلك لأُبْرِزَ قبرُه ، خَشِيَ أن يُتَّخذ مسجداً » .

وفى هذا الحديث بيان صريح بأن قبره ﷺ لم يكن بارزاً ، وإنما دخل المسجد بعد موته كما سبق بيانه .

وفى الحديث بيان العلة التى من أجلها لم يبرز قبره ﷺ وهى قول عائشة : «خَشِيَ أن يُتَّخذ مسجداً » وقد لعنَ رسول الله ﷺ اليهود والنصارى لكونهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وحذَّر من صنيعهم ، وخَشِيَ أن يتسرَّب ذلك إلى هذه الأمة المباركة ، وفى ذلك هدم لمعالم التوحيد ، ومع ذلك أبى أكثر الناس إلا مخالفة نبيهم ، واتباع من كان قبلهم من اليهود والنصارى فى اتخاذهم القبور مساجد ، فاتخذ الناس قبور الحسين والبدوى والدسوقى وغيرهم مساجد ، وزادوا الطين بلَّة فشدُّوا الرحال إلى هذه القبور وطافوا حولها وعظموها ، فالله المستعان .

صفة قبره ﷺ

عن عامر بن سعد بن أبى وقاص أنَّ سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال فى مرضه الذى هلك فيه [2] : « الْحَدُوا لى لَحْداً [3] وانْصِبُوا علىَّ

(١) تحت عنوان : « لعن الله اليهود والنصارى » .
(٢) أى : مات فيه .
(٣) اللَّحْد : الشَّقُّ الذى يكون فى جانب القبر موضع الميت ، راجع «اللسان» (مادة / لحد) .

اللَّبِـنَ [1] نَـصْـباً . كما صُـنِعَ برسُولِ الله ﷺ » [2].

وعن سفيان التَّـمَّار « أنَّـهُ رأى قبرَ النبيِّ ﷺ مُـسَـنَّـماً » [3] .

قال ابن حجر [4] : أي مرتفعاً ، زاد أبو نعيم في المُسْتَخْرَج : « وقبر أبي بكر وعمر كذلك » واستدلَّ به على أنَّ المستحب تسنيم القبور ... ا .هـ .

ذِكْـرُ مـا أُلْقِـيَ فـي قبـرِ النـبي ﷺ [5]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « جُعِلَ في قبرِ رسول الله ﷺ قَطيفَةٌ حَمْرَاءُ » [6] .

قال وكيع بن الجراح رحمه الله : « هذا للنبيِّ ﷺ خاصَّة » [7] .

وذكر الحسن البصري رحمه الله بعد ذكره لهذا الحديث قال : « وكانت أرض نَـدِيَّة » [8] فكأنَّ هذه هي العلَّة التي من أجلها وُضِعَتْ القطيفة في قبره ﷺ ، وعلى كُلٍّ فهذا خاصٌّ برسولِ الله ﷺ كما سبق عن وكيع رحمـه الله ولا ضير في خفاءِ علَّة ذلك علينا . والله الموفِّق .

---

(1) الواحدة : لَبِنَةٌ وهي التي يُبْنى بها ، وهو المضروب من الطين مُرَبَّعاً . «اللسان» (مادة /لبن) .

(2) رواه مسلم (٩٦٦) ، وابن سعد (٢/٢٢٧) ، والنسائي (٢٠٠٦ ، ٢٠٠٧) ، وابن ماجه (١٥٥٦) . وفي رواية للنسائي : (عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه سعد) كذا ، والصواب : «عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن عامر بن سعد أن سعداً ...» الحديث كما في باقي الروايات. والله أعلم .

(3) رواه البخاري (١٣٩٠) .

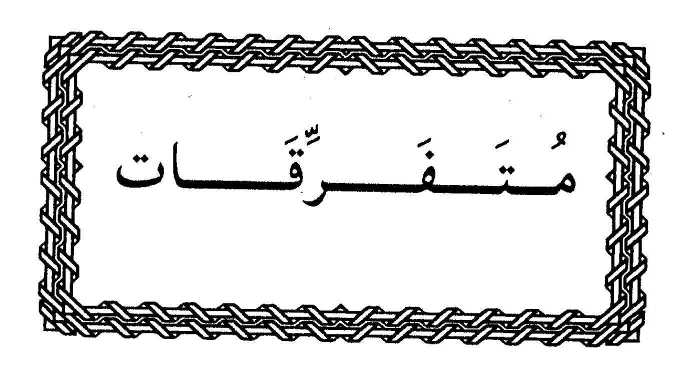
(4) فتح الباري (٣ / ٣٠٢) .

(5) الترجمة لابن سعد في الطبقات (٢ / ٢٢٨) .

(6) رواه أحمد (١/٢٢٨) ومسلم (٩٦٧) ، والنسائي (٢٠١١) ، والترمذي (١٠٤٨) ، وغيرهم .

(7) طبقات ابن سعد (٢ / ٢٢٨) .

(8) طبقات ابن سعد (٢ / ٢٢٩) .



مُتَفَرِّقَات

الـدِّرْع المـرهـونـة

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « تُـوفِّىَ رسولُ الله ﷺ ودِرْعُـهُ مَـرْهونةٌ عِنْـدَ يهودىٍّ بثلاثين صاعاً مِن شعيرٍ » (١) .

وفى بعض الروايات عن عائشة رضى الله عنها : « أن النبى ﷺ اشترى طعاماً من يهودىٍّ إلى أجلٍ ورهنَـهُ درعاً مِن حديد » (٢) .

وقد بَـيَّـنَت الرواية السابقة : نوع هذا الطعام وهو : الشعير .

وعن أنسٍ (٣) رضى الله عنه أنه مشى إلى النبى ﷺ بُخبْـزِ شعيـرٍ وإهـالَة سَـنِخة (٤) ، ولقد رهنَ النبىُّ ﷺ درْعاً له بالمدينة عند يهودىٍّ وأخذَ منه شعيراً لأهْلِـهِ . ولقد سمعتُـهُ يقولُ : ما أَمسى عند آل مَحمدٍ ﷺ صاعُ بُـرٍّ ولا صاعُ حَـبٍّ ، وإنَّ عِـنْدَهُ لتِسْعَ نسوَة » .

قال ابن حجر رحمه الله فى « **فتح البارى** » (٥ / ١٦٩) : « وذكـر ابن الطلاع فى « **الأقضية النبوية** » أن أبا بكر افتكَّ الدرع بعد النبىّ ﷺ ، لكن روى ابن سعد عن جابرٍ « أن أبا بكر قضى عدَات النبى ﷺ ، وأنَّ عليًّا قضى ديونه » (٥) ، وروى إسحاق بن راهويه فى مسنده عن الشعبى مرسلاً : « أن أبا بكر افْـتَـكَّ الدرع وسلمها لعلى بن أبى طالب » ا . هـ .

ولم أَرَ فى فكاك الرهن عن هذه الدرع شيئاً يُـعْتمد عليه ، بإسنادٍ صالحٍ

(١) رواه البخارى فى مواضع منها (٢٩١٦) ، ومسلم (١٦٠٣) ، وفى بعض الروايات عندهما أن هذه الدرع كانت من حديد .

(٢) رواه البخارى (٢٠٦٨) ، ومسلم (١٦٠٣) .

(٣) رواه البخارى (٢٠٦٩) .

(٤) الإهالة بكسر الهمزة وتخفيف الهاء : ما أُذيب من الشحم والإلية . وقيل : هو كُل دسم جامد ، وقيل : ما يؤتدم به من الأدهان ، و «سنخة» بفتح المهملة وكسر النون بعدها معجمة مفتوحة : أى : المتغيرة الريح ، ويقال فيها بالزاى أيضاً . انتهى من «الفتح» (٥ / ١٦٧) .

(٥) رواه ابن سعد (٢ / ٢٤٣) عن شيخه الواقدى وهو متروك الحديث . فلا يصح إسناده .

للاحتجاج ، فالله أعلم بما كان من أمرها .

قال ابن حجر (٥ / ١٦٨) : « فيه ما كان عليه النبى ﷺ من التواضع والزهد فى الدنيا والتقلل منها مع قدرته عليها ، والكرم الذى أفضى به إلى عدم الادخار حتى احتاج إلى رهن درعه ، والصبر على ضيق العيش والقناعة باليسير ، وفضيلة لأزواجه لصبرهن معه على ذلك » قال : « قال العلماء : الحكمة فى عدوله ﷺ عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود إما لبيان الجواز ، أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل عن حاجة غيرهم أو خشي أنهم لا يأخذون منه ثمناً أو عوضاً فلم يرد التضييق عليهم ، فإنه لا يبعد أن يكون فيهم إذ ذاك من يقدر على ذلك وأكثر منه فلعله لم يطلعهم على ذلك . وإنما اطلع عليه من لم يكن موسراً به ممن نقل ذلك . والله أعلم » . انتهى .

بَعثُ النّبىّ ﷺ أسامة بن زيْد رضى الله عنهما فى مرضه الذى تُوفّى فيه

هكذا ترجم الإمام البخارى رحمه الله فى «صحيحه» (٧ / ٧٥٨) ثم أورد (٤٤٦٨) حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه (يعنى : عبد الله بن عمر رضى الله عنهما) استعملَ النبى ﷺ أسامةَ فقالوا فيه ، فقال النبى ﷺ : « قد بلغنى أنكم قلتم فى أسامة ، وإنه أحب الناس إلىّ » .

وأورد البخارى بعده (٤٤٦٩) حديث عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : « أنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ بَعْثاً وأمّرَ عليهم أسامةَ بنَ زيد ، فَطَعَنَ الناسُ فى إمارته ، فقام رسول الله ﷺ فقال : إن تَطْعنوا فى إمارته فقد كنتم تَطْعنونَ فى إمارة أبيه من قَبْلُ . وأيمُ الله إنْ كان لَخليقاً للإمارة. وإنْ كان لَمن أحبِّ الناس إلىَّ ، وإنَّ هذا لمن أحبِّ الناس إلىَّ بعده» .

وروى ابن سعد فى « **الطبقات** » (١٩٢/٢) هذا الحديث من طريق موسى ابن عقبة عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه كان يسمعه يحدّث عن رسول الله ﷺ حين أمّر أسامة بن زيد ، فبلغه أن الناس عابوا أسامة ، وطعنوا في إمارته ، فقام رسول الله ﷺ فى الناس فقال : « ألاَ إنكم تَعيبُون أُسَامَةَ وتَطْعَنُونَ فى إمارته وقد فعلتم ذلك بأبيه من قَبْلُ . وأيمُ الله إنْ كَانَ لخليقاً للإمارة وإن كان لأحبّ الناس كلهم إليّ وإنّ ابنَهُ هذا من بعده لأحب الناس إليّ فاستوصُوا به خيراً فإنّهُ من خياركم » قال سالم : « ما سمعتُ عبد الله يُحدّثُ هذا الحديث قط إلاّ قال : ما حاشا فاطمة » قلت : ويستثنى أيضاً عائشة رضى الله عنها لورود النص بكونها أحب الناس إلى رسول الله ﷺ كما ورد أنّ أبا بكر أحب الرجال إليه ﷺ فيحمل الحديث الذى معنا على أن أحب الموالى إلى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وولده أسامة ، أو يكون زيد وابنه أسامة من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ كما سبق فى رواية عبد الله بن دينار عن ابن عمر عند البخارى .

والمقصود أنّ النبىّ ﷺ جَهّز جيشاً لغزو الروم وأمّر عليه أسامة بن زيد فطعن النّاس فى إمارته إما لصغر سنّه وإما لكونه من الموالى ، ومهما يكن من أمر فقد أصرّ رسول الله ﷺ على إمْرة أسامة رضى الله عنه وبيّن للطاعنين فيه أن أسامة من أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ وهذا يؤهله أن يتولّى جيشاً عظيماً سيذهَبُ لغزو الروم مع ما يملكه أسامة رضى الله عنه من فطنة وذكاء وحسن تصَرُّفٍ ورجاحة رأى .

وبعد أن جهّز رسول الله ﷺ هذا الجيش وأخذ الجيش فى الاستعداد للرّحيل تسرّب نبأ مرضه ﷺ إلى الناس فانشَغَلَ الناسُ بمرضه ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحزنون لحزنه ﷺ ويتألمون لألمه ويفرحون لفرحه ، ولا شىء أحب إليهم من أن يَرَوْا وَجْهَ رسول الله ﷺ فى عافية وسرور ، ولا شىء أبغض إليهم وأشد عليهم من أن يكدّر صفو رسول الله ﷺ أو يصاب بشىء .

والمراد أنهم انشغلوا به حتى مات ولمّا ينفذ جيش أسامة فلمّا استخلف أبو بكرٍ رضى الله عنه أَنْفَذَ جيش أسامة فذهب غازياً ورجع سالماً غانماً حاملاً لواء النصر غائظاً للمشركين ، رادعاً للمرتدين وعلى هذا إجماع أهل السِّير. راجع مثلاً : طبقات ابن سعد (١٩١/٢، ١٩٢)، والمنتظم لابن الجوزى (٧٣/٤)، والبداية والنهاية (٣٠٨/٦) ، وفتح البارى (٧٥٩/٧) ، وغير ذلك . والله الموفق .

ما حالت الوفاة دون تحقيقه

مِـــن ذلك :

* فكُّ رهن الدرع المرهونة عند اليهودى وقد تقدَّم خبرها فى هذا الكتاب .

* وبعث أسامة وقد تقدَّم خبره أيضاً .

* ومما تقدَّم خبره أيضاً : همّه ﷺ بكتابة كتابٍ لأبى بكرٍ (١).

* ومما يدخُلُ فى هذا الباب : صيام اليوم التاسع فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حين صامَ رسولُ الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه ، قالوا : يا رسول الله ! إنَّه يومٌ يعظِّمه اليهودُ والنصارى . فقال رسولُ الله ﷺ : « فإذا كان العامُ المُقْبِلُ ، إن شاء الله صُمْنَا اليومَ التاسعَ » . قال : فَلَمْ يأتِ العامُ المُقْبِلُ حتى تُوفِّى رسول الله ﷺ . رواه مسلم فى «صحيحه» (١١٣٤) .

* وقال أبو جحيفة : أمر لنا النبىُّ ﷺ بثلاثَ عشرةَ قلوصاً (٢) .

قال : « فقُبِضَ النبىُّ ﷺ قَبْلَ أن نَقْبِضَها » . رواه البخارى (٣٥٤٤) وغيره .

* قلت : وليس المراد هنا الاستقصاء والحصر ، على أن هذا الباب جديرٌ بالبحثِ والإفراد ووددت لو يُسِّر لى ذلك . والله الموفِّق والمستعان .

---

(١) راجع : « نعيه ﷺ نفسه إلى عائشة رضى الله عنها » وقد سبق والحمد لله .

(٢) بفتح القاف : الأنثى من الإبل ، وقيل: الشابة ، وقيل : الطويلة القوائم . قاله ابن حجر (٦٥٦/٦) .

انقطاع الوحى بموته ﷺ وحزن الصحابة لذلك

عن أنسٍ قال : « قال أبو بكر رضى الله عنه بعدَ وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أمِّ أيمن نَزُورُها ، كما كان رسولُ الله ﷺ يَزُورها فلمَّا انتهينا إليها بكت . فقالا لها : ما يُبْكيك؟ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ . فقالت : ما أبكى أن لا أكونَ أعلمُ أنَّ ما عندَ الله خيرٌ لرسوله ﷺ . ولكن أبْكى أنَّ الوحى قد انقطَعَ من السماء . فهَيَّجَتْهُمَا على البُكاءِ . فجَعَلاَ يَبْكيان معها » (1) .

وفي صحيح البخارى رحمه الله (2) أن عمر بن الخطاب قال : « إنَّ ناساً كانوا يؤخذون بالوَحْي في عهد رسول الله ﷺ ، وإنَّ الوحى قد انقطعَ ، وإنَّما نأخُذُكُم الآن بما ظَهَرَ لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خَيْراً أمَنَّاهُ وقرَّبناهُ وليسَ إلينا من سريرته شيءٌ ، الله يحاسبُ سريرتَهُ ، ومَنْ أظهر لنا سُوءاً لم نأمنهُ ولم نُصدِّقْهُ . وإن قالَ : إنَّ سريرَتَهُ حَسَنَةٌ » .

مصدر التشريع بعد وفاته ﷺ

تمهَّد في محكمات الملة ودواوين الإسلام أن الحكم الأعلى الذى لا يَقبل **« النقض أو الاستئناف »** : لله ولرسوله ﷺ ، ولا يصح عقد الإسلام إلاَّ بالتسليم لله تعالى والإذعان لأمره وشرعه الذى أوحاهُ إلى نبيه محمد ﷺ ، وجاءت النصوص الآمرة بالردِّ إلى الله ورسوله ﷺ عند التنازع فى أىِّ شأنٍ من الشؤون (3) .

---

(1) رواه مسلم (٢٤٥٤) .

(2) صحيح البخارى (٢٦٤١) .

(3) راجع : « نظرية السيادة » لصلاح الصاوى ، وكتابى « فتح الغفور فى بدعية قراءة القرآن عند القبور» : المحور الأول . والله الموفق .

وتواطأت كلمات العلماء على أن ذلك معناه الرد إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة رسول الله ﷺ بعد موته ، وهذا مقررٌ لدى كافة أهل العلم بل وعامة المسلمين أن الردَّ إلى الله ورسوله يعنى : الردَّ إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بعد موته ، وقد كان الصحابة الكرام رضى الله عنهم يأخذون الأحكام غضة ندية من فم النبى ﷺ فلما قُبِضَ ﷺ رجعوا إلى كتاب الله وإلى ميراثهم ومحفوظاتهم من سنته ﷺ عند التنازع وهكذا مَن بعدهم مِن التابعين إلى عصرنا هذا فصار هذا إجماعاً عاماً تتوارثه الأجيال من لدن الصحابة إلى عصرنا. وهذا واضح ظاهر لا يحتاج إلى عناءِ بحثٍ أو إسهابٍ . والله تعالى أعلم وبه ثقتى .

ذِكْرُ كَوْنه ﷺ خاتم النَّبِيِّين صلوات الله وسلامه عليهم

تقرر فى القرآن والسنة وإجماع الأمة أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء . فليس بعده نبى ، وأن مدَّعِ النبوَّة بعد النبى ﷺ قد خَلَعَ ربقة الدين مِن عنقه وجاهر بالمبارزة للحى القيوم ، وهو من حطب جهنم وقد قامت البراهين على هذا الأصل . من ذلك : قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ . [الأحزاب : ٤٠]

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال ﷺ : « **وأنا خاتم النَّبيين** » [(١)] .

قال البيهقى رحمه الله [(٢)] : « باب ما جاءَ فى مَثَلِ نبيِّنا ﷺ ، ومَثَل الأنبياءِ عليهم السلام قبله ، وإخباره بأنه خاتمُ النبيين فكان كما أخبر » وفى

(١) رواه البخارى (٣٥٣٥) ، ومسلم (٢٢٨٦) ، وغيرهما . ورويا نحوه مِن حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى (١ / ٣٦٥) .

صحيح مسلم باب [1] : « ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين » . وورد نحو هذه التراجم لجماعة من المصنفين .

وفي « **العقيدة الطحاوية** » [2] : « وأن محمداً عبده المصطفى ... وأنه خاتم الأنبياء ... وكل دعوى النبوّة بعده فغيٌ وهوى » . والأمرُ مبسوط بأكثر مما هنا في غير هذا الموضع ، وإن كان من ظهوره ووضوحه لا يحتاج إلى بيانٍ . والله أعلم .

تحريم نكاح أزواجه ﷺ من بعده

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ . [الأحزاب : ٥٣]

فحرّم سبحانه وتعالى بذلك نكاح أزواجه ﷺ من بعده ﷺ وذكر سبحانه أن ذلك كان عند الله عظيماً ، وقد عاش أزواجه ﷺ من بعده زماناً لم يَقْرَبهُنّ أحدٌ حتى مِتْنَ رضوان الله عليهن ، وهُنّ أمهاتُ المؤمنين ، رضي الله عنهنّ جميعاً .

وحشرنا وإياهن وجميع المسلمين مع نبينا محمدٍ ﷺ وإخوانه معاشر الأنبياء والمرسلين . آمين .

وبعد : فهذا الأصلُ مما عُلِمَ ضرورة فيكتفى فيه بالإشارة ، والله الموفّق .

(١) الموضع السالف ذكره .
(٢) راجع «العقيدة الطحاوية» مع شرحها (ص / ١٥٨ ، ١٦٦/ المكتب الإسلامي الطبعة الثامنة) .

تمنّى رؤية النبى ﷺ بالمال والأهل

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والذى نفسُ محمدٍ بيده! ليأتينَّ على أحدِكم يومٌ ولا يَرَانى . ثُمَّ لأَنْ يرانى أحبُّ إليه من أهله وماله معهم » .

قال أبو إسحاق : « المعنى فيه عندى ، لأَنْ يرانى معهم أحبُّ إليه من أهله وماله . وهو عندى مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ » . هكذا رواه مسلم رحمه الله (٢٣٦٤) ، ورواه البخارى (٣٥٨٩) بلفظ : « ليأتينَّ على أحدِكم زمانٌ لأَنْ يرانى أحبُّ إليه مِن أن يكون له مثلُ أهله وماله » .

قال البيهقى رحمه الله فى « **دلائل النبوة** » (٦ / ٥٣٦) : « باب ما جاء فى إخباره ـ ﷺ ـ بحال أمته بعده فى تمنّيهم رؤيته فكان كما أخبر » . ثم ساق الحديث .

وقال ابن حجر رحمه الله : « .... فإنَّ كل أحدٍ من الصحابة بعد موته ﷺ كان يودُّ لو كان رآه وفقدَ مثل أهله وماله ، وإنما قلتُ ذلك لأن كل أحدٍ ممَّن بعدهم إلى زماننا هذا يتمنى مثل ذلك فكيف بهم مع عظيم منزلته عندهم ومحبتهم فيه؟ » ا. هـ .

ويؤيد ذلك ما ورد عند مسلم (٢٨٣٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من أشدِّ أمتى لى حُبًّا ناسٌ يكونون بعدى ، يَودُّ أحدُهُم لو رآنى بأهلِه وماله** » .

قال ابن عبد البر رحمه الله : وكان سفيان بن عُيينة يقول : تفسير هذا الحديث وما كان مثله بَيِّنٌ فى كتاب الله وهو قوله : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ [آل عمران : ١٠١] . انتهى من « **التمهيد** » لابن عبد البر (٢٠ / ٢٤٩) .

فالتحاكم إلى الله تعالى يعنى التحاكم إلى كتابه ، والتحاكم إلى رسوله ﷺ يعنى التحاكم إلى شخصه الكريم فى حياته وإلى سنته بعد موته ﷺ .

وقد وردت الأدلة مُبَشِّرة لمن جاء بعده ﷺ من أتباعه السالكين على دربه ، العاملين بسنته ؛ أن موعدهم الحوض النبوى الشريف حيث ينتظر النبى ﷺ أمتَهُ هناك ، وجاءت النصوص مصرحة ومعلمة أنه لا حظ لأهل الإحداث والتبديل في الدين فى هذه الرؤية ، وأن لا حظ لهم فى الشرب من يده الشريفة وأنهم يذادون عن حوضه ﷺ أى : يُبْعَدُون فكن من الأوائل ولا تَكُن من الأواخر هداك الله سبل الرشاد وجنبك الغواية وألهمك السَّداد . والله الموفق والمستعان (١) .

طِبْتَ حيًّا وميِّتاً يا رسول الله ﷺ

تُوفِّى رسول الله وأبو بكر بمسكنه بالسُّنْح يعنى : العالية ، فلما وصله الخبر جاء مسرعاً راكباً فرسه حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتوجَّه صوب جسد رسول الله ﷺ وقد غُطِّىَ بِبُرْدٍ حِبَرَةٍ : نوع من برود اليمن ، فكشفَ عن وجهه وقَبَّلَهُ وقال : بأبى أنتَ وأُمِّى طِبْتَ حيًّا وميتاً (٢) .

ولئن لم يطب رسول الله ﷺ فمن ذا يطيب ؟؟

(١) وراجع : الأصل .

(٢) رواه البخارى : وراجع حديث السقيفة الطويل فى أبواب الخلافة من أصل هذا الكتاب .



خاتمة

وإلى هنا ينتهى ما أردته فى هذا المختصر ، أسأل الله عز وجل الستر والسلامة ، والصدق والإخلاص فى هذا العمل وفى غيره من الأعمال ، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يَمُنَّ علىَّ بدعوةٍ صادقةٍ صالحة أو نصيحةٍ هادفةٍ رقيقة من أخٍ محبٍّ ناصحٍ .

والدعاء : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

والحمد لله رب العالمين

وكتب

صلاح أبو خُبَيْب

فهــرس المــوضــوعــات

المــوضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

والحمد لله رب العالمين .